الأحوال الثقافية للمجتمع الصليبي في بلاد الشام بين التأثير والتأثر

د. أميرة محمد شحاتة أحمد أبو زيد

كلية الآداب، جامعة بورسعيد، مصر

amira.mohamed@arts.psu.edu.eg

ملخص:

تعتبر الثقافة هي الوعاء الذي يصب فيه أفراد الأمة عصارة فكرهم وجهدهم، وتمثل الإنجازات الثقافية الكنز الأمثل والأكثر ديمومة في تاريخ الأمم؛ ومن هذا المنطلق تدور فكرة الورقة البحثية "الأحوال الثقافية للمجتمع الصليبي في بلاد الشام بين التأثير والتأثر" في ثلاثة محاور على النحو الآتي:

المحور الأول: الأوضاع التعليمية للاتين في الشرق، حيث الإشارة لطبقات المجتمع الصليبي في بلاد الشام، ورصد الحالة الثقافية لطبقة النبلاء ولملوك وكبار الأمراء، وإلقاء الضوء على الخلفية الثقافية للطبقة العامة (البرجوازية)، وأخيرًا الأوضاع الثقافية في الكوميونات الأوروبية في الشرق.

المحور الثاني: أبرز مظاهر الحياة الثقافية للصليبيين من خلال العلوم والمعارف لدى للاتين في الشرق على سبيل المثال: (علم التاريخ، الجغرافيا، الطب، العمارة، والفنون العسكرية...إلخ) بالإضافة لبعض المظاهر الأخرى مثل: (القانون، والأشعار والأغاني، النبوءات والرؤى، والمعتقدات) ذات الدلالات الثقافية.

المحور الثالث: صور من جوانب التأثير والتأثر في الحياة الثقافية عصر الحروب الصليبية.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، البولان واللاتين، النبوءات والرؤى ، القانون الصليبي.

Abstract:

The Cultural Status of the Crusader Society
in the Levant as a Two-way Influence

Dr. Amira Mohamed Shehata
History Department, Faculty of Arts, Port Said University, Egypt
amira.mohamed@arts.psu.edu.eg

Culture is the container in which the members of the nation put the essence of their thought and effort. Cultural achievements represent the optimal and most enduring treasure in the history of nations. From this

standpoint, the idea of the research paper "The Cultural Status of the Crusader Society in the Levant as a Two-way Influence" revolves around three themes as follows.

The first theme is the educational status of the Latins in the East, where there is a reference to the classes of the Crusader society in the Levant, and an observation of the cultural status of the nobility of the kings and senior princes, along with shedding light on the cultural background of the common class (Bourgeoisie) and finally on the cultural status in the European communes in the East.

The second theme is the most prominent aspects of the cultural life of the Crusaders through the sciences and knowledge of the Latin in the East. For instance, there are history, geography, medicine, architecture, and military arts, in addition to some other aspects with cultural connotations such as law, poems and songs, prophecies and visions.

The third theme is features from the aspects of the two-way influence in cultural life in the era of the Crusades.
Keywords: Crusades, Bolan and Latin, prophecies and visions, Crusader law.

المقدمة:

تأتي أهمية البحث في أن دراسة الأحوال الثقافية للمجتمع الصليبي في بلاد الشام تكشف الكثير من عوامل التأثير والتأثر للعديد من مناطق إقليم حوض البحر المتوسط، بداية من مجتمع الغرب الأوروبي الذي انتمى له هذا المجتمع بجذوره ومرورًا بالإمبراطورية البيزنطية وصولا للمجتمع الذي أحاط به من المجتمع الإسلامي ومن المسيحيين الشرقيين، كل ذلك مع الوضع في الاعتبار أن الثقافة اللاتينية فيما وراء البحار قليلا ما تمت دراستها على حد تعبير Edoardo d'Angelo[1]، الأمر الذي تم تفسيره بأن الوضع السياسي الممزق والحاجة الملحة للحرب تفترض وجود بيئات معادية للأدب والثقافة بوجه عام.

وسبق هذه الدراسة بعض الدراسات السابقة في: الكتابات التي تناولت المجتمع الصليبي ضمن دراسات عامة عن موضوع تاريخ الحروب الصليبية، كما ظهرت دراسات تناولت المجتمع الصليبي على وجه التحديد.

1 Edoardo d' Angelo, "A Latin school in the Norman principality of Antioch?", People, Texts and Artefacts: Cultural Transmission in the Medieval Norman Worlds, ed. David Bates, Edoardo d'Angelo and Elisabeth van Houts (London : Institute of Historical Research, 2018), p. 80.

وفي البداية يمكن القول بأن الثقافة والمثقف كلمتين واسعتي النطاق، يصعب أن يحويهما تعريف أو يحدهما مفهوم؛ وذلك لتعذر الوقف على معناهما الدقيق. ويبين "ابن منظور" في لسان العرب أن معنى (ثَقَفَ): جدّد وسوّى، ويربط بين التثقيف والحذق وسرعة التعليم[1]. ويعرف المعجم الوسيط الثقافة بأنها "العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق"[2]، ويعرفها "تايلور" اصطلاحيا بأنها "هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة، المعتقدات، الفن، الأخلاق، القانون، العادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع"[3].

وقد قام المجتمع الصليبي في بلاد الشام خلال الفترة من عام 1099 حتى 1291 م/ 492– 690 هـ، واستطاع الصليبيون وهم قلة عددية أن يفرضوا سيطرتهم على هذه البلاد قرابة قرنين من الزمان، لكنه كان واضحًا منذ بداية قيام هذا المجتمع أنه عانى من خلل اجتماعي؛ حيث شكل الصليبيون في هذا المجتمع فئة غريبة تكاد تكون منعزلة عن بقية سكان المجتمع، وأحاط بهم وتخلل ممتلكاتهم في هذا الشرق: أبناؤه من العرب، الترك، البدو الرحل، الدروز، الحشاشون، بالإضافة إلى المسيحيين الشرقيين من السريان، الأرمن، الموارنة... وهكذا أقام الصليبيون في بقع متناثرة وسط محيط من الأعداء، ومن الملاحظ أنه كان على الصليبيين أن يجدوا الحلول السريعة لمواجهة المستجدات التي لا يتوقعون حدوثها كل يوم[4]، وإذا كانت الدراسات قد تناولت الكثير من تلك التحديات على المستوى الأمني والمستوى الاقتصادي؛ ففي هذه الدراسة محاولة لرصد أبرز هذه التحديات على المستوى الثقافي أيضا، والتي كان على المجتمع الصليبي التعامل معها.

وعند تناول أوضاع المجتمع الصليبي في بلاد الشام في تلك الفترة التاريخية بشكل عام، وأحواله الثقافية بشكل خاص، ينبغي التفريق بين أوضاع ذلك المجتمع في دور المولد والنشأة، ثم الاكتمال والنضج، وبين أوضاعه في دور الشيخوخة؛ والتمييز بين عهدين

---

1 ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي)، لسان العرب، (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ص 492.

2 إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار ،المعجم الوسيط، ج1 ،(القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة)، ص 98.

3 دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة/ منير السعيداني، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007)، ص 31؛ حسن أحمد عبد الجليل البطاوي، المجتمع الصليبي في بلاد الشام 1097–1187م (التباين الاجتماعي والخلافات المذهبية)، (دمشق: نور حوران، 2019م)، ص 66.

أساسيين: مجتمع ما قبل معركة حطين عام 1187 م/ 583 ه، ومجتمع ما بعد معركة حطين[1].

ويمكن القول بأن الجموع الأساسية التي تكونت منها الحملة الصليبية الأولى (1097-1099م) كانت عينة مثالية لما كان عليه الوضع في أوروبا العصور الوسطى، فضمت جميع طبقات المجتمع الأوروبي بمختلف فئاته الموجودة آنذاك؛ حيث اشتملت الجيوش الصليبية على: النبلاء كبار رجال الإقطاع، الفرسان، رجال الدين، بجانب أعداد غفيرة من طبقة العامة وعبيد الأرض، كذلك اللصوص والمجرمين وقاطعي الطرق. ويتضح أن المجتمع اللاتيني الذي نشأ في شكل إمارات في الشرق منذ عام 1097 م مثَّل عينة كاملة على غرار التقسيم الذي ساد الغرب اللاتيني آنذاك؛ فمثلت طبقة الفرسان عماد الحركات الصليبية التي خرجت إلى الشرق بوصفهم الفئة المحاربة التي وقع على كاهلها الاستيلاء على البلاد، وأيضًا حماية الكيان الوليد من أعدائه، وجـــاء على رأسها مجموعة الأمراء الذين تولوا قيادة المجتمع وتوجيه سياسته. مع إضافة ما ظهر من طبقات أخرى وفقًا لعاملي المكان والزمان؛ فبالإضافة لطبقة الفرسان وجدت طبقات أخرى كطبقة رجال الدين، فقد لعب رجال الدين الكاثوليكي دورًا بارزًا في بناء المجتمع الصليبي ببلاد الشام، ومهما تباينت الأقوال حول الأهداف الحقيقية للحملات الصليبية فإن هذه الحملات قد اتخذت مسحة دينية كان لها أثرها الكبير عليها.

وقد شكلت طبقة البرجوازية/ العامة: الطبقة الأدنى من النبلاء الطبقة الاجتماعية السائدة في المجتمع الصليبي، فإذا كان المحاربون الراكبون في الحملة الصليبية الأولى قد مثلوا نواة طبقة الفرسان؛ فإن المحاربين المشاة _ من غير النبلاء _ قد شكلوا نواة المستوطنين الصليبيين الأوائل الذين استقروا في منطقة المشرق العربي[2].

وقد استوطن التجار الإيطاليون المدن الصليبية الساحلية _ الموانيء _ مثل: يافا، عكا، صور، قيسارية، أرسوف، بيروت، طرابلس، جبيل، اللاذقية والسويدية؛ وظل هؤلاء التجار يكونون طبقة مستقلة قائمةً بذاتها[3].

---

1 سعيد عبدالفتاح عاشور، "ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام"، مركز دراسات الوحدة العربية المستقبل العربى، مج 10، ع 102، 1987م، ص24- 25.

2 أميرة محمد شحاتة، من تاريخ الحركة الصليبية: دور الفرسان في مملكة بيت المقدس 492-690هـ/ 1099-1291م، (القاهرة: دار عين، 2017م)، ص 44-46.

3 سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج1، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط 4، 1986)، ص 387.

وانقسمت الآراء حول تصنيف البولانيين باعتبارها طبقة مستقلة أو جعلها امتدادًا للطبقات السابقة؛ فقد أشارت بعض الدراسات إلى أنهم نتاج التزاوج بين البرجوازية أو الصليبيين الغربيين بالشام والمسيحيين الشرقيين المحليين[1]، بينما أشار ماير على أن "Poulloin" لا يقصد بهم الصليبيون ذاتهم بل أحفادهم من المستوطنين بصورة دائمة[2].

أولًا: الأوضاع التعليمية للاتين في الشرق

وفي أوروبا العصور الوسطى كان الفارس خلال تنشئته يتلقى تعليمًا متأثراً بالبيئة الجغرافية المحيطة وأصول العقيدة؛ إلا أن هناك مؤشراً على أن القراءة والكتابة لم تكن شائعة في أوساط النبلاء[3]، وإن كان بعض النبلاء أعدوا للحياة الكنيسة؛ مما يسر لهم فرصة التعليم منذ الصغر، وعدد قليل منهم كتبوا خطابات، في حين كانت القراءة أكثر شيوعاً[4].

وفي بلاد الشام تبدو الصعوبة في التأكد من درجة تعليم الصليبيين؛ بسبب ضعف الأدلة خاصة بالنسبة لمؤسسات التعليم آنذاك[5]، ويدعم تلك الفرضية أنه لم تنشأ في المستعمرات الصليبية مراكز للدراسة أو مراكز ثقافية أو مدرسة أو جامعة؛ ذلك في عصر زخرت فيه كل المراكز الأوروبية بالكليات والمدارس والجامعات[6]، وإن كان هناك مثل هذه المؤسسات في عدد من المدن إلا أنها لم تبلغ في وظيفتها ودورها قريناتها من المؤسسات القائمة في الغرب[7]. ومع ذلك لا يجب أن نفترض أن الصليبيين في بلاد الشام كانوا يفتقرون

---

1 سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج1،ص 386؛ محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد ... عصر الحروب الصليبية، (القاهرة: دار المعارف، 1979)، ص 80- 84.

2 ماير، هانس ابرهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ عماد الدين غانم، تقديم/ نجاح صلاح الدين القابس (طرابلس، ليبيا: مجمع الفاتح للجامعات، 1990)، ص 231.

3 سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطي النهضات والحضارة والنظم، ج 2، (القاهرة: الأنجلو المصرية، 1986)، ص 283؛ يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة/ قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1988)، ص 176.

4 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 176 – 177.

5 نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي (القاهرة:النهضة المصرية، 1961)، ص 188؛ محمود محمد الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد. عصر الحروب الصليبية (القاهرة: دار المعارف، 1979)، ص 221 – 222؛ يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 153؛ وأيضا Boas, A. J, *Jerusalem in the Time of The Crusaders*, (NewYork, 2001), p. 34.

6 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 154.

7 Boas, *Jerusalem*, p. 34.

يفتقرون إلى الثقافة[1]، فيمكن القول أن الشرائح العليا من النبلاء والإقطاعيين كانوا متعلمين، وقد كتبوا بعض المؤلفات، وهناك شهادات وضحت أن مستواهم التعليمي كان مساويًا لمستوى أقرانهم الأوروبيين، كما تمثل في الاحتفالات مشاهد من ملحمة آرثر والقصص الخرافية الشائعة في أوروبا[2]، بل لقد قارن البعض شخصية جون الإبليني سيد بيروت (توفى 1236 م) بطراز الفارس الذي تمثله فرنسا في شخصية القديس لويس[3]. لكن هناك شك حول ما إذا كانت على نفس درجة التعليم المتوفرة لدى الشرائح الدنيا من النبلاء[4].

وقد تعلم أبناء الإقطاعيين في بيوت خاصة لفرق الرهبان الفرسان، ويحتمل أن يكون معظم الأسياد قد عملوا على تعيين مدرسين متميزين بشكل خاص[5]، وخير مثال على ذلك دور وليم الصوري بوصفه معلم خاص للملك بلدوين الرابع (1173– 1185 م)[6]، ومن هنا هنا يتضح أن الحكام كانوا على اتصال قوي برجال الكنائس.

ولابد من أن المدارس الكنسية كانت مشاركة في المناخ المدرسي الموجود بالمدن، ففي عام 1179م نص مجمع اللاتيران الثالث على أن كل كنيسة كاتدرائية لا بد وأن يكون لها زعيم ديني (أستاذ أو معلم) موقر، وفي عام 1215م أصدر مجمع اللاتيران الرابع مرسومًا يلزم بتدريس اللاهوت في جميع كنائس العاصمة، وتلك القواعد لم تكن منفذة بدقة في المسيحية اللاتينية، بالطبع لم تكن في فلسطين وسوريا، ولكن في عام 1103م تم إنشاء مدارس للمعلمين في القدس بكنيسة الضريح المقدس، وكان هناك أخرى في إمارة أنطاكية منذ عام 1180 م، كما وُجِدت مدرسة ملحقة بالكنيسة الكاتدرائية بيروت عام 1133م، ومن أعلى

---

1 Archer, Thomas Andrew, *The Crusades. The story of the Latine kingdom of Jerusalem*, (London, T. F. Unwin, [1919]), also by Charles Lethbridge Kingsford , p. 291.

2 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 154.

3 رنية غروسية، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط ،ترجمة/ أحمد أحمد أيبش، (أبو ظبي: 2014)، ص94.

4 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 154.

5 Smith, J. R., *The Feudal Nobility and The kingdom of Jerusalem 1174 –1277*, (Great Britain, 1973), p. 130.

6 ذكروليم الصوري: "كان الملك عموري شديد الحرص على تعليم ولده – بلدوين الرابع – وقد عهد إلى يوم أن أن كنت رئيس لشمامسة صور برعاية هذا الغلام ــ الذي قارب على التاسعة من عمره يوم ذاك ــ وكلفني بالقيام بتعليمه الفنون والآداب، وأن أكون مؤدبا له فقبلت هذه المهمة، واستجبت لإلحاح عموري، وإلي تعهده لي بإضفاء عطفه على، وقمت أنا من جانبي ببذل قصارى جهدي في تكريس نفسي من أجل هذا التلميذ الملكي وهو تحت إشرافي، وأوليته الرعاية التامة الجديرة بمن هو في مثل مكانته الرفيعة، ولم آل جهد في تثقيفه خلقيا وعلميا. وليم الصوري، الحروب الصليبية ...تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ترجمة/ حسن حبشي، ج 4، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991–1995)، ص 174.

الدراسات كان يدرس اللاهوت في عكا عام 1218 م؛ التي كان للرهبان الدومنيكان فيها مدارس تدرس بها اللغات الشرقية، وهكذا يتضح مما سبق أنه كان هناك بعض التعليم الكنسي في الشرق اللاتيني.

ويمكن القول إنه في مدرسة كاتدرائية الضريح المقدس درس أحد السادة، ومن المحتمل أن مدير المدرسة – الكاردينال المستقبلي يوحنا البيزي John of Pisa – درس لأفضل مثقف معروف في المملكة المؤرخ ورئيس الأساقفة "وليم الصوري"، لكن حتى هذه الشخصية، ومؤسسات هذا النوع لا بد أنها كانت من النوعية المحدودة إلى الحد الذي استحال معه متابعة التعليم العالي في مدرسة كاتدرائية القدس أو أي مكان آخر في الشرق؛ لذلك قضى وليم الصوري بضعة سنوات من حياته في المؤسسات الغربية[1]، ليأتي بعد ذلك ويدرس لأحد كبار الفرسان الذي أصبح الأول بين أقرانه، ويمكن أن يصبح نموذجًا تنطبق عليه فرضية تساوي المستوى الثقافي للشرائح العليا للنبلاء مع أقرانهم بالغرب.

أما المستوى التعليمي بين الإيطاليين، فمن المؤكد أنه كان أعلى منه بين الفرنجة؛ فقد كان هذا هو الوضع أيضاً في أوروبا، ولكن المقارنة تصبح أكيدة في أوساط التجار العالميين، فالمراسلات والحسابات كانت جزءًا من العمل التجاري اليومي كما كانت المعرفة بالجغرافياوالاقتصاد متقدمة[2].

ثانيًا: أبرز مظاهر الحياة الثقافية للصليبيين .

إذا كان من مظاهر النهضة الثقافية في المدينة في العصر الإسلامي: كثرة المكتبات، دور العلم، المساجد، المدارس ومجالس العلم؛ فمن الجدير بالذكر هنا أن الحروب الصليبية قد أودت بحياة بعض المكتبات ودمرت محتوياتها، كمكتبة معرة النعمان عام ١٠٩٨- 491 هـ أو كفر طاب عام ١٠٩٩ م- ٤٩٢ هـ أو مكتبات القدس في نفس العام، خاصة في الفترة الأولى للغزو الصليبي. ولم يصل من المصادر أن أحد الصليبيين صادر كتبًا لغرض القراءة أو بغرض تأسيس مكتبة أو منح مكتبة دير أو كنيسة ليستفيد منها طلبة علم. كما راحت مكتبة أسامة بن منقذ ومكتبة خويلفة ضحية اللصوصية الصليبية[3].

وقد تمثلت في العصر الصليبي بعض المظاهر الثقافية في: بناء الكنائس، الأديرة، ومعهد متخصص للطب؛ حيث سعى الصليبيون للإكثار من الكنائس والأديرة والبيع في مدن

---

1 Smith, *The Feudal Nobility*, pp. 129 – 130.

2 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 162.

3 ياسر كامل محمود أحمد، "الصليبيون وإتلاف الكتب وتدمير المكتبات في بلاد الشام: عصر الحروب الصليبية 1098–1191م 491–588هـ"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية جامعة بني سويف، ع. 4، 2018، ص 154.

بلاد الشام التي دخلوها بهدف إضفاء الصبغة اللاتينية عليها، بل إنه بسبب كثرة البنيات الدينية التي شيدت في سهل طرابلس الواقع أدنى قلعة صنجيل، فقد أطلق على هذه المنطقة اسم وادي الكنائس[1].

ومن الجدير بالذكر أن الأديرة قد لعبت دورًا مهمًا في الحياة الثقافية في أوروبا العصور الوسطى؛ فكانت بمثابة مراكز ثقافية أنتجت كُتّابًا ومفكرين ومؤلفين، وكان لها الفضل في تأسيس مجموعة من المدارس الأسقفية، خاصة إنه صاحب انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب اختفاء مدارس الدولة، ومثلت كتابات الرهبان المصدر الأساسي عن تاريخ العصور الوسطى، حيث دونوا أدق التفاصيل التي حدثت، فضلا عن الدور الكبير الذي لعبته هذه الأديرة كذلك في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ويمكن ذكر أمثلة لأبرز المثقفين في مملكة بيت المقدس على النحو الآتي: فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres: وصل إلى الأرض المقدسة بوصفه قس لبلدوين البولوني، وكتب مؤلفه المهم A History of Expedition to Jerusalem، ولد في مدينة شارتر بفرنسا عام 1059م، وهو أحد رجال الكنيسة، رافق الحملة الصليبية الأولى من شارتر في فرنسا مع جيش روبرت كونت نورماندیا وستيفن كونت بلوا وشارتر عام 1096 م/ 489 ه، ثم انفصل عن الجيش الصليبي الرئيسي قبل الاستيلاء على مدينة أنطاكية؛ حيث لازم بلدوين شقيق جودفري البوايوني في فترة توليه إمارة الرها، كما اصطحبه بلدوين عندما استدعى لتتويجه ملكا على بيت المقدس بعد موت جودفري، وظل ملازمًا له حتى وفاته عام 1118م /512 هـ، ثم مكث فوشيه في بيت المقدس حتى عام 1127 م/521 هـ.

وتكمن أهمية كتاب فوشيه في أن صاحبه لم يدون سوى الأحداث التي شاهدها بنفسه، أو تلك التي رواها له شهود العيان، كما اعتمد أيضا في كتاباته على الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوروبي؛ مما أكسب مؤلفه هذا أهمية كبيرة، بل اعتمد عليه كثيرون ممن أتوا بعده، ونقلوا عنه ما كتبه عن تلك الفترة، وكان نموذجًا واضحًا لأسلوب المؤرخين الكنسيين[2]؛ فقد كتب في قالب ناسب الأسقف الكاثوليكي الذي يخاطب عامة الناس في غرب أوروبا، عند حديثه عن الغنائم عقب هزيمة المسلمين في عسقلان عام 1099م، وذكر أن

---

1 عمر عبد السلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى.. من الفتح العربي حتى سقوط الامارة الصليبية (25- 688هـ/ 646م- 1289هـ)، (بيروت: دار فلسطين، 1972)، ص 64-74.

2 لؤي إبراهيم بواعنة، "رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى490-521هـ/1096-1127م" المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 5، العدد2011م، ص 58.

الأحجار الكريمة التي وجدها الصليبيون في خيام المسلمين كانت "اثنى عشر نوعا[1]" في اقتباس واضح مما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي (21:19– 20).

وكذلك يمكن ذكر جيرارد الناصري Gerard of Nazareth[2] أسقف اللاذقية Laodicea بحلول عام 1140م، ومؤلف لعملين عن اللاهوت وموعظة وسير القديسين. وأيضا المؤلف المجهول لعمل تاريخ بلدوين الثالث Historia Balduini III قبل عام 1123م *Historia Nicæna vel Antiochena = Balduini III Historia Nicæna vel Antiochena, Recueil des Historiens des Croisades*؛ و Achard of Arrouais رئيس رهبان المعبد (الهيكل) مؤلف قصيدة "لمعبد سليمان" De Templo Salomonis.

ولمدة قرنين من الزمان أضحت الحركة الصليبية حديث أوروبا الأهم والأبرز، وفي أول الأمر كتب القساوسة والجنود والملاحظون الأذكياء قصصًا عن الحوادث التي شاهدوها، تلك القصص المفعمة بالمعجزات والخوارق والخرافات والبطولات. ومعظم الحوليات ألفها رجال ولدوا ونشأوا في الغرب؛ فيما عدا وليم الصوري وأحد المذيلين عليه وهو أرنول[3]. وقد ولد وليم الصوري في مملكة بيت المقدس حوالي عام 1130 م/ 525 هـ، وتلقى تعليمه فيه، ثم التحق بالوظائف الكنسية إلى أن أصبح في عام 1161 م/ 566 هـ أحد رجال الدين التابعين لرئيس أساقفة مدينة صور، سافر إلى أوروبا ليواصل تعليمه هناك، ولقد أتيحت له – بحكم المناصب التي شغلها – فرصة المعرفة ببواطن الأمور في الإمارات الصليبية، وساعده على ذلك إلمامه بعدة لغات كالعربية والفرنسية القديمة واليونانية والفارسية والعبرية، فضلا عن لغته الأصلية وهي اللاتينية، يرجح تاريخ وفاته غير المعروف بدقة أنه حدث بين عامي 580–583 هـ/ 1184–1187م[4]؛ وتجلت أفضل مؤهلات "وليم" باعتباره مؤرخًا من خلال معالجته للقضايا السياسية، وإدراكه لكافة التغيرات التي حدثت على الصعيد الإسلامي

---

1 فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس 1095–1127م، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، (القاهرة: دار الشروق، 2001)، ص142؛ المصدر السابق، تعليق المترجم حاشية (1)، ص142.

2 Andrew Jotischky, "Gerard of Nazareth, John Bale and the Origins of the Carmelite Order", *Journal of Ecclesiastical History* 46/2 (April 1995), p. 215 .

3 الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 225.

4 وليم الصوري: تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر ، ج 1، مقدمة المترجم، ص 9– 43؛ عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليم الصوري" مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية العدد 21 (1968)، ص 200–204

آنذاك، وكان لها آثار على موازين القوى، فبرهن على أن رجال الدين اللاتين كانوا رجال سياسة.

وهناك قاسم مشترك بين كلٍ من الملك بلدوين الثالث[1]، الملك عموري[2] وبلدوين الرابع[3] هو اهتمامهم بالتاريخ، ورغبتهم في الاطلاع، كما ظهر اهتمام بعض كبار فرسانهم كصاحب الشقيف بالتواريخ والأحاديث[4].

ويمكن القول أنه كان يوجد أدب في الأرض المقدسة قبل عام 1150 م، وله "لونه المحلي"، وكانت الأنواع الأكثر شيوعا هي التأريخ لإضفاء صفة الشرعية على السيطرة السياسية للصليبيين في تلك الأراضي بالإضافة لترجمة الأعمال العلمية إلى اللاتينية[5]، كما أسهمت الكتابات التاريخية عن الحروب الصليبية في الدعاية لهذه الحروب، بخاصة ما كتبه أولئك الذين شاركوا فيها، وكانوا شهود عيان على أحداثها أو بعض الأحداث[6] .

وفي إنطاكية افترض البعض أن شمال سوريا لم تكن مركز ثقافي فقير خلال القرن الثاني عشر، فلقد كانت مركزًا هامًا لنسخ المخطوطات، كما كان هناك مكتبة هامة للمحفوظات "أرشيف" في أنطاكية، وربما كانا أثنتين، واحدة تخص الأمير والأخرى للأسقف.

فمن المفترض وجود حجرة نساخ الدير، مثل تلك التي كانت في دير القديس سمعان العمودي الأصغر للجبل الرائع St.Simeon ، ولسوء الحظ فإن ما تبقى كمثال للإنتاج الأدبي هو تقويم الشعائر الدينية فقط[7].

---

1 تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر، ج 3، ص 231 – 232؛ ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص169؛ الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 219.

2 وليم الصوري،.تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 4، ص 17؛ ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص 175.

3 وليم الصوري، تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 4، ص 175.

4 ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 6، قدم له وعلق عليه/ محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب، 1992)،ص 40؛ الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص220؛ جمعة الجندي، الاستيطان الصليبي في فلسطين 492-690 ه./ 1099 – 1291 م (القاهرة: الأنجلو المصرية، 2006)،ص278.

5 Edoardo d'Angelo, "A Latin school", p. 81.

6 رائد مصطفى عبد الرحيم، "وسائل الدعاية الصليبية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى نموذجا)، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، غزة، 2011، المجلد 13، العدد (1)، ص 181.

7 Edoardo d'Angelo, "A Latin school", p. 82.

ويعد أيضا والتر المستشار Walter the Chancellor من أوئل المؤرخين اللاتين الذين نشأوا في الشرق، وقد وضع كتابه: بعنوان "الحرب الأنطاكية"Bella Antiochena بتكليف من روجر دي سالرنو أمير أنطاكية (1113– 1119 م) وعالج الكتاب الفترة من 1114 إلى 1122م، ومن أهم ما يحوي حروب روجر ضد السلاجقة[1]؛ ومن أهم النقاط التي تناولها حديثه عن معاملة المسلمين لأسرى الصليبيين، فكان واحدًا منهم[2].

وعلى أية حال، كان هناك تقاليد للأدب العامي وإنتاجه في أنطاكية، منها القصيدة الشهيرة "أنشودة إنطاكية" Chanson d'Antioche وكذلك Chansondes Chétifs ؛ التي روت المغامرات الخيالية لمجموعة من الفرسان المسيحيين الذين كان قد أسرهم الأتراك، وعلى الرغم من الدراسات العديدة التي تتناول محاولة تقييم أنشودة إنطاكية بوصفها مصدر أولي أو تحديد قيمتها التاريخية حتى ولو في ضوء مفاهيم القرن الثالث عشر.

وفي التاريخ الطبيعي هناك جاك الفيتري من مؤلفي الفرنج الذي وصف الأحجار الكريمة بدقة فائقة؛ ويُستنتَج أنه قد درس كتب علم المعادن الطبية، أما ما كتبه عن المياه الحارة فيدل على معلومات مبهمة[3]. وقد ورد القليل في مصادرهم عن الفلسفة؛ وربما اقتربوا منها دون الأخذ بها والتعمق بدراستها[4]، كما ازدهر علم الحساب بسبب رواج التجارة بين الثغور الإيطالية وبلاد الشام[5].

ولقد كانت الجغرافيا أحد العلوم التي عُني بها الصليبيون أكثر من سواها؛ نظرا للعلاقة الوثيقة بين مؤلفات الفلكيين والجغرافيين ونشاط حركة الملاحة والتجارة، فمن ناحية المعرفة الجغرافية نرى وصف الطرق المتعددة بين الشرق والغرب وعقبات هذه الطرق، خاصة في كتب الرحالة والحجاج. ومع اتساع النشاط الصليبي في الشرق اتسعت المعرفة الجغرافية من أوصاف المدن، وإبراز الظواهر الجغرافية في محاولات ربما شابها بعض الأخطاء والكثير من الخرافات في السعي للوصول للمعرفة، ويمكن اعتبار الخرائط المعروفة بالسنوتية التي وُضعت خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر هي أولى منتجات القرون

---

1 ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة/ حسين محمد عطية، (الإسكندرية المعرفة الجامعية، 1989)، مقدمة الترجمة الإنجليزية، حاشية (27)، ص 52–53.

2 *Walter the Chancellor's the Antiochene Wars*, tarns. by, Thomas S. Asbridge and Susan B. Edgington, 1999, p.157.

E. Rey, *Colonies franques de Syrie aux XIIe et XIIIe siècles*, (Paris, 1883), p.185.

4 زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية، (لبنان: (لبنان: دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر، 1957)، ص 210.

5 زكي النقاش، العلاقات، ص 203 .

الوسطى في هذا الفن في أوروبا، وكان نتيجة المعلومات المكتسبة من الشرق خلال فترة الحروب الصليبية[1].

وفي الوقت الذي كان الطب الإسلامي على درجة من النجاح، كان أسلوب الصليبيين في الطب يبدو غريبًا وبدائيًا[2]، يؤكد ذلك روايات شهود العيان لأمثلة من أشكال العلاج التي كانت تقدم في تلك الحقبة الزمنية[3]؛ لذلك لم يكن من المستغرب أن يفضل الأمراء الصليبيون والنبلاء من أبناء الطبقة الأرستقراطية الطب العربي ووسائل العلاج الشائعة لديهم[4]. وعلى الرغم من أن وليم الصوري فسَّر الأمر من منظوره قائلاً: "إذا كان أمراؤنا الشرقيون وقعوا تحت تأثير زوجاتهم، فكانوا يحتقرون الأطباء اللاتين، ولا يثقون في قدراتهم، ويؤمنون بكفاءة اليهود والسامريين والسريان والمسلمين فقط؛ فإن أمراءنا هؤلاء أسلموا أنفسهم لأيدي أولئك الممارسين للعلاج، واستأمنوا على أرواحهم قوماً جهلاء بالطب"[5]. ومع التدقيق في التفسير الذي قدمه وليم الصوري على أثر موت بلدوين الثالث مسموماً بتناول حبوب وضعها له طبيب كونت طرابلس[6]؛ نجد تناقضًا فيما رواه في موضع آخر من رفض الأطباء السوريين إعطاء الملك عموري دواءً ملينًا، والذي خالف نصائحهم استجابة للأطباء الصليبيين مما أودى بحياته[7]. وطبقًا لوليم الصوري أيضا فعندما مرض نور الدين "اضطر القوم أن يستدعوا له أكفأ الأطباء من بلاد الشرق، لكن وعكته كانت تزداد لحظة بعد أخرى، ولم تستجب للعلاج الذي وصفوه له، حتى يئس الأطباء من برئه وحياته"[8]، ومما يدل على ثقافة رفيعة أن المسلمين لجأوا لعلاج قائدهم بالطب وليس بالخرافات، وعلى الرغم من اليأس من علاجه فإنهم دأبوا في العلاج، حتى نجح المطببون في علاج نور الدين من مرضه[9].

---

1 Rey, *Colonies franques*, p.177

2 Hitti, Ph., "The Impact of the Crusader on Moslem Lands", in Setton: *A History of Crusades* ,Vol. V, New York, 1983, p. 45.

3 ابن منقذ (ت 584هـ/ 1188م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامه بن مرشد: كتاب الاعتبار، (مصر : الثقافة الدينية، 2001)، ص 162 – 163.

4 جمعة الجندي، الاستيطان الصليبي، ص 289.

5 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 3، ص450 .

6 جمعة الجندي، الاستيطان الصليبي، ص 289.

7 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج4، ص 160– 161.

8 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 3، ص 422.

9 "وحدث في هذه الأثناء (يوليو1155م) أن أبل نور الدين من وعكته بفضل العلاج الدقيق الذي وآلاه به مطببوه". تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 3، ص 424 .

وطبقا لصاحب ذيل وليم الصوري فقد نجح المعالجون في مساعدة الملك العزير بن صلاح الدين في التغلب على السم الذي دسه له عمه سيف الدين[1]؛ مما يدل على تقدم الطب لدى المسلمين، وهنا وجب التنويه بأن هذا المستوى المتقدم من الطب لاحظه حتى العامة في حملتهم الشعبية؛ فعندما تغنت أنشودة أنطاكية بأحداث هذه الحملة: ذكرت جرح أصاب كربوغا، ولكن سليمان "عندما استدعى له طبيبًا ووضع بعض المراهم، وفي لمح البصر عاد الجريح على قدميه"[2]، في مقابل ما كان يُتغنى به في ذات الأنشودة من وفاة بعض فرسان الصليبين متأثرين بجروحهم[3].

وعلى الرغم من أن نمط العمارة في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر شابه إلى حد كبير عمارة المدارس في جنوب فرنسا، وفق الطراز البروفنسالي Languedoe (مقاطعة من فرنسا القديمة تشمل جزءًا من كويتية بواتيه)، وفيما يتعلق بكنيسة القبر المقدس فهي تمثل طابعًا مركبًا، فالصرح البيزنطي القديم تحول إلى كنيسة، وتم تدشين البازيليكا الجديدة في ١٥ يوليو ١١٤٩م، ويتشابه مدخل الوجهة الجنوبية نوعًا ما بنمط المدارس الشائع في بواتو Poitou، ظهر الطراز القوطي بعد سقوط القدس ١١٨٧م في عكا، بكنيسة السيدة في طرسوس على سبيل المثال: وهي كنيسة رومانية من القرن الثاني عشر، ولكن تيجان الأعمدة وأقفال الأقباء فيها التي تعود إلى الترميم في القرن الثالث عشر فهي قوطية، وتحوي بعض التفاصيل التي تذكر بعمارة رنسReims [4].

إلا أن طبيعة الاستيطان أسرت أساليب الصليبين، فالبناؤون تأثروا بالـــأبنية البيزنطية والعربية، فضلا عما جاءوا به من أوروبا[5]، لقد كان واضحا تأثر الفرنجة بالفن البيزنطي، وربما استعانوا بالفنانين البيزنطيين[6]، وعلى الرغم من التطرف في الرأي القائل بأن "الحروب الصليبية قد أسدت للفرنج منافع أكبر بفضل اتصالهم بالقسطنطينية، مما أسدته لهم باتصالهم بالمسلمين في الشرق"، إلا أنه يوجه بأهمية أثر البيزنطيين على الأحوال الثقافية في

---

1 المؤرخ المجهول، ذيل وليم الصوري، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية، 2002)، ص 259.

2 *Chanson d'Antioche: An Old French Account of the First Crusade*, Crusade Texts in Translation by Edgington, Susan and Sweetenham, Carol, (Ashgate Publishing Group, Farnham, Surrey, GBR,2011), p. 119.

3 *Chanson d'Antioche, An Old French Account*, pp. 146- 147.

4 رنية غروسية، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، ص 92.

5 مصعب حمادي نجم الزيدي، " اضواء على حياة الصليبيين في بلاد الشام"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، ج 1، ع 2، 2008، ص 96.

6 فتحي عبدالعزيز محمد، و أشرف صالح محمد سيد. "الكنيسة في مملكة بيت المقدس عصر الحروب الصليبية الصليبية الدور والواجبات (1099 – 1187 ."مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 9، 2014، ص 23.

بلاد الشام، خاصة في ظل ما اشتهرت به بعض الشخصيات أمثال: جيوفري رئيس الهيكل، الذي وصف "أنه من المتضلعين في علوم الروم في الشرق، بل كان أحد مشاهيرهم الكبار فيها"[1].

ويتضح من وجود النافورة في قصر أسرة أبلين إلى تأثر الصليبيين بالطراز العربي في البناء المتلائم مع مناخ البلاد وأجوائها في بناء قصور الأمراء [2]، كما أتاح جوارهم للعرب والبيزنطيين فرصة الاطلاع على فنون العمارة لديهم، ومن ذلك ما سجله وليم الصوري من إعجاب الفرسان الصليبيين بالقصور المصرية، خاصةً قصر الخليفة[3]، وأيضاً يستدل على النموذج البيزنطي في بناء القصور من الوصف الدقيق لقصرين بيزنطيين خلال رحلة الملك عموري إلى بيزنطة[4]، ولتنفيذ هذه الطرز المعمارية استعان الصليبيون بالفنانين العرب واليونانيين[5]؛ فضلاً عن أن البيت أو القلعة التي كان الصليبي يعيش بها في المدينة بناءًا شرقيًا، فقد كان في العادة مُلْكاً لأحد المسلمين قبل الغزو الصليبي، وكان يختلف تماماً عن الأبنية والتحصينات الأوروبية. وإذا كان الخشب هو مادة البناء الأكثر شيوعاً في الغرب، لكنه لم يكن شائعاً في الأرض المقدسة؛ إذ كان الحجر هو مادة البناء الأكثر استخدمًا في كل من المدن الأخرى. وكان المنزل ذو الطابقين أو الثلاثة طوابق هو النمط الشائع في البناء، بيد أن المنازل ذات الطوابق الخمسة كانت معروفة أيضاً، وغالباً ما كانت أسقفها المسطحة مرصعة بأشجار النخيل المزروعة في أحواض أو بالأشجار دائمة الخضرة؛ بحيث تصير مكاناً يستمتع فيه المرء بالنسمات الباردة بعد مغيب الشمس الحارقة، وفي الداخل كانت الحوائط السميكة تحفظ الدفء في الشتاء حيث تهبط درجة الحرارة في أماكن مثل بيت المقدس وصفد وجبال شرق عكا وفي طرابلس وأنطاكية إلى درجة التجمدن وفي الصيف كانت الحوائط والنوافذ الضيقة تحفظ للحجرات برودتها. كما كانت الأسقف شاهقة الارتفاع ولم تكن النوافذ تغطى بالألواح الخشبية، وإنما كانت تتألق بالزجاج المصنوع محلياً، وعادة ما كانت واجهة الدور الأرضي في المنازل الراقية عبارة عن حائط صلد ليس فيه سوى المدخل. وكانت نوافذ الطوابق العلوية تسمح بدخول بعض من الضوء، لكن الفتحات الأساسية في

---

1 زكي النقاش، العلاقات ،ص 196

2 سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (492-690هـ/ 1099-1291م)، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ،1990)، ص 146.

3 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 4، ص 138-146.

4 وليم الصوري، تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 4، ص 46-50.

5 Archer & Charles, *The Crusades*, p. 292.

البيت كانت تطل على فنائه الداخلي حيث يوجد البئر عصب الحياة، ويحفظ فيه ماء المطر، وفي أماكن كانت تُحفر الأرض لتتصل بأحد القنوات المائية الصناعية القديمة.

وفي بعض المنازل كانت السلالم تُبنى خارج المنزل بحيث يُسمح بالصعود من الشارع إلى كل طابق من طوابق المنزل، وغالباً ما كانت منازل الأثرياء تحتوي على نوع من البناء الإضافي في الخارج يتكون من الأقواس المغطاة بالقماش السميك لكي تحمي المدخل من الشمس والمطر وفي أعمدة الأقواس نقرت ثقوب لكي تربط بها الخيول، أما البيوت المكلفة فقد كانت مداخلها تزين بالمزايكو الذي يحمل بصمات الفن البيزنطي الإسلامي، فضلاً عن أن قطع السجاد الصغيرة وقطع النسيج والسجادات كانت تغطي الحوائط[1]، وقد اتخذوا لبيوتهم وقصورهم من الأثاث ما اتفق معها ومع الروح الشرقية المعروفة بحب الترف[2]، والذي كان أفخم بكثير من ذلك الموجود في أوروبا، ففي أفضل الأحوال كانت المناضد والكراسي ورؤوس الأسرة المحفورة على هيئة العقود البارزة أو باقات صغيرة من الزهور أو رؤوس البشر أو الحيوانات، وبدت الكراسي على هيئة حرف X مستديرة، بينما كان الحرف العلوي من الكرسي يُستخدم بوصفه مقعد بمسندين، ومع الكراسي توضع الحشايا المستطيلة والدائرية وقد غطيت بالحرير أو الديباج الذي ينتهي بشرابه من أجل مزيد من الراحة[3]. وربما كانت غرفة النوم في الطابق الثاني حيث أحضر الصليبيون هيكل السرير الأوروبي، فلم يناموا على الأرض كالشرقيين، وكانت الأَسِرَّة ذات وسادات وفرش عميقة وناعمة، وربما احتوى الطابق الأرضي على المطبخ وصالة الطعام، واحتوى المطبخ على فرن وخزان ماء كبير، وكانت المنضدة التي تأخذ عليها الوجبات مدرجة في الرواق ومزودة بمقاعد وضعت حولها وكانت مغطاة بالقماش في وقت الطعام، وقد استخدمت هذه القاعة أيضاً في الأغراض الاجتماعية بعد وجبات الطعام[4]، وكانت الملاعق والسكاكين هي أدوات المائدة الرئيسية والتي اختلفت تبعاً للطبقة الاجتماعية.

وفي بيوت النبلاء كان الصبية والتابعون الصغار يقومون على خدمة المائدة، وحين تستقبل الأسرة ضيوفاً من أصحاب المقام الرفيع يقوم أبناء الأسرة الصغار بهذا الواجب أحياناً وتنقل شرائح اللحم على الخبز المستدير الذي يقوم مقام الأطباق، وقد يوضع الخبز في أطباق من الفخار تزينها غالباً الرسوم، وكانت الأطباق الأكثر فخامة تزينها رسوم الفرسان والخيالة

---

1 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 143.

2 سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 376؛ جمعة الجندي، الاستيطان الصليبي، ص 267.

3 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 145.

4 Benvenisti, M.,*The Crusaders in the Holy Land. Jerusalem*, (Israel Universities Press, 1970), pp. 373-374 .

فوق ظهور خيولهم، ويمكن تصور أن الآنية التي قُدمت عليها الوجبات للملك الصليبي بعد التتويج من المعادن الثمينة التي صممت ونقشت في الشام[1].

كما أن المعلومات عن الاهتمامات الثقافية للصليبيين قليلة[2]، فعلى سبيل المثال لم يكن معروفا عن بلدوين الثالث (1143- 1163 م) رعايته للفنون، ولكن أخاه الأصغر عموري (1163- 1174م) كان راعيا للفن؛ حيث قدم طرازا جديداً من العملة، وأمر بتصميم الشعارات الملكية الخاصة به وفق الخطوط البيزنطية، وفيما بين سنة 1167 – 1169 م انضم عموري إلى الإمبراطور مانويل كومنين (1143- 1180 م) والأسقف رالف أسقف بيت لحم في رعاية عملية تزيين كاملة لكنيسة الميلاد[3]. في حين كان فولك (1130- 1143 م) بانياً عظيما للقلاع، وكانت جيوشه تحمل شارة المملكة _وهو صندوق الذخائر الذي يضم الصليب_ في كل حملاته، على أن أهم عمل أمر به كان كتاب المزامير لميلسيند[4]. ويبدو أن عدداً قليلاً منهم كان مهتمًا بالتراث الفني المحيط[5].

وكان الاهتمام بالقوانين العرفية للمملكة يمثل استثناء في المستوى المنخفض في مجال الفكر والروح[6]، والذي إذا غضضنا الطرف عنه لا نجد مساهمة بارزة في العلوم[7]، حيث احتوى هذا الاهتمام كل الطاقات الثقافية للنبلاء الصليبيين؛ إذ كانوا يتعلمون القانون وهم في طور الشباب بحضور المقابلات في البلاط الملكي أو بلاطات الأمراء، وخلالها يلقنهم الكبار المبادئ القانونية[8]. ويرجح أن بداية نشأة القوانين الصليبية، ترجع إلى عهد جودفري، حيث تعود خطابات الضريح المقدس، ثم قام جودفري بتأسيس سلطتين قضائيتين، هما المحكمة العليا من أجل محاكمة النبلاء، ومحكمة الفيكونت من أجل محاكمة البرجوازيين، وبعد ذلك تحورت وتجددت تلك التشريعات على يد ملوك بيت المقدس[9].

---

1 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 145 – 146.

2 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 154.

3 فولدا، "الفن في الشرق اللاتيني": كتاب تاريخ اكسفورد، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، ج1 (القاهرة: دارعين،2007)، ص217.

4 فولدا، "الفن في الشرق اللاتيني"، ص 211.

5 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 154.

6 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص154.

7 ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص 272.

8 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 155.

9 أحمد عبدالله أحمد، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام فى القرن 6-7 هـ/12-13هـ، ((القاهرة : دار الآفاق العربية، 2016)، ص 172.

وقد صيغت قوانين بيت المقدس من أجل تسيير عجلة الحكم في جميع شئون المملكة سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية، ولم يقتصر عمل هذه القوانين على مملكة بيت المقدس وحدها؛ بل طبقت في مملكة قبرص أيضا، وصدرت هذه المجموعة القانونية في جزأين: احتوى الأول على قوانين Liver de Jean d'Iblin كتب حنا أبلين، وكتب La cour haute المحكمة العليا، وجوفري لي تورGeaffrey le Tort وجاك أبلين Jacques d'Iblin وفيليب النوفاري Philippe de Navarre، أما الجزء الثاني فضم قوانين المحكمة البرجوازية في مملكة بيت المقدس، بجانب الإشارة إلى مملكة قبرص، بالإضافة إلى الكثير من الوثائق شديدة الأهمية بالنسبة للبناء السياسي والعسكري[1].

أما بالنسبة لقوانين أنطاكية فافترض البعض أنه تم تصنيفها زمن الأمير بوهيمند الرابع أمير أنطاكية (١٢٠١-١٢١٩م)، وأنها وضعت قبل عام ١٢٦٥م؛ أي أنها أقدم من قوانين مملكة بيت المقدس التي وضعها حنا إبلين كونت يافا فيما بين عامي ١٢٦٥و ١٢٦٦م. ومن الجدير بالذكر هنا أنه على الرغم من أنه لم يستدل على من وضع هذه القوانين[2]، قد امتدح وليم الصوري إلمام الملك عموري بالقانون الساري الذي تسير المملكة على هديه[3]، وأن القانون البحري ينتهي بالتذكير بدور الملك عموري في تشريع هذا القانون، لكي يتم تطبيقه عبر كامل مناطق مملكة بيت المقدس[4]، وفي عهد عموري الأول تم سن قانون للتأمين على الخيول. ويقوي هذا الترجيح القانون المعروف بقانون بلبيس الذي أصدره الملك عموري عام 1168م أثناء حصاره لبلبيس[5]، ولم يكن الملك عموري وحده في هذا التوجه، فقد اهتم نبلاء الشرق اللاتيني بالدراسة القانونية بشكلٍ عام[6].

---

1 محمد فوزي رحيل، " قانون التأمين على خيل الحرب في مملكة بيت المقدس الصليبية قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس "، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط – مصر، العدد 1، 2011، ص 298

2 حسين محمد عطية، تشريعات الصليبيين : دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2012)، ص 39.

3 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 4، ص 17.

4 حاتم عبد الرحمن الطحاوي، "القانون البحرى لمملكة بيت المقدس الصليبية: قراءة فى مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد (58) عدد (4) 1998، ص 477-529.

5 محمد فوزي رحيل، " قانون التأمين على خيل الحرب في مملكة بيت المقدس الصليبية "، ص 306.

6 Brundage, J. A., "Latin Jurists in the Levant; the Legal Elite of the Crusader States," in *The Crusaders and Muslims Medival Mediterr-anean in Twelfth Century Syria* (E. J. Brill, New York, 1993), p. 18.

وكان أفضل تعزيز للتعليم القانوني كان بالممارسة في المحاكم؛ فأي مقطع أعلن التبعية للملك يمكنه الجلوس في المحكمة العليا، وفي البداية كان من يعطي المشورة للملك هم المستأجرون القريبون للملك بمقتضى أنهم إما حكام السيادات الإقطاعية الكبيرة أو أقليتهم المستأجرين للأراضي في الدومين الملكي، ولكن كان أكبر توابع قانون التبعية هو توسيع عضوية المحكمة لتشمل معظم ملاك الإقطاعيات في المملكة[1]، ولقد وصف الأستاذ سميث تطور المدرسة الحقيقية للقانون في الشرق اللاتيني ومجموعة القضاة الذي شكل أعضاؤها الجزء المخطط لسلطة النخبة في الدولة[2].

ويظهر في مواضع متعددة من المؤرخات اللاتينية ما يثبت إيمان اللاتين بالسحر والرؤى؛ فبالنسبة للسحر فشهادة أحدهم "فقد تعلم الصليبيون السحر، وفظاعات لا يمكن حصرها"[3]. وبالنسبة للنبوءات؛ فلم يبرع اللاتين في صياغتها فقط؛ بل وفي توظيفها سياسيًا وعسكريًا، حتى ارتبطت الحملة الصليبية الأولى في ذهن العامة بنبوءات نهاية العالم، وفي الحملة الصليبية الثانية غلف أحد مؤرخي هذه الحملة بهالة من النبوءات الجذابة في ذلك العصر[4]. وفي الحملة الصليبية الخامسة وقبيل الاستيلاء على دمياط، رُوجت نبوءة في الغرب على أنها موجودة في كتاب باللغة العربية، ولكي تحظى بمصداقية تم فيها خلط ما حدث بالفعل مما قام به صلاح الدين بما كان يحدث في تلك الأثناء زمن الحملة الخامسة؛ تمهيدا لما أُريد أن يروج له من أنه سيتم الاستيلاء على دمياط[5] ساهمت في تشكيل إمدادات جديدة.

لقد كان إيمان الصليبيين بالرؤى واضحا في كتاباتهم؛ وقد تم توظيفه توظيفًا سياسيًا وعسكريًا بشكل بارع، فقد روَّج والتر المستشار رؤيا اعتبرها "معجزة لا بد من نشرها حتى يحتذى بها الأفراد، وتعتبر ذكرى وتاريخًا للأجيال القادمة"؛ وهذه الرؤيا لا تخرج في مجملها عن التأكيد على فكرة أن: "الشهادة من نصيب قتلى الصليبيين خلال هذا النوع من

---

1 Smith, *The Feudal Nobility*, p. 30.

2 Brundage, "Latin Jurists in the Levant", p. 18.

3 جاك الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة/ سعيد البيشاوي، (عمان: دار الشروق، 1998م)، ص 106.

4 Bagge, S., "Ideas and narrative in Otto of Freising's Gesta Frederici," *Journal of Medieval History* 22/4 (1996), pp. 370- 371.

5 Oliver of Paderborn, *The Capture of Damietta*, للمزيد حول هذه النبوءة وارتباطها بأسطورة الكاهن يوحنا Prester John نشأتها ونتائجها: محمود سعيد عمران: "الفكرة الصليبية" آلام وآمال: وليم آدام واستعادة الأراضي المقدسة، ضمن كتاب الإطار التاريخي للحركة الصليبية حصاد (3)، ندوة اتحاد المؤرخين العرب (القاهرة: منشورات اتحاد المؤرخين العرب، 1996)، ص 353– 358. trans. J. J. Gavigan, Philadelphia, 1948, pp. 49- 50.

الحروب"[1]، كما وظف مؤرخ لاتيني آخر رؤياه ليخدم فكرة أن هزائم الصليبيين كانت بسبب خطاياهم[2].

ولم تكن الرؤى والأحلام المقدسة وليدة عصر الحروب الصليبية، بل كانت في المجتمع الأوروبي القديم، فالإله مورفيوسMorpheus إله الأحلام في الأساطير اليونانية، وهو أحد أبناء إله النوم " هبنوس Hypnos" أما شقيقه أبيكيلوس فهو يخلق الأحلام في الحيوانات في حين أن الشقيق الثالث يبعث الأحلام إلى الجماد، وينام هذا الإله داخل كهف هادىء لا ينفذ إليه ضوء النهار وينام أطفاله "الأحلام" حول فراشه متفرقين هنا وهناك.

وإذا كان هذا هو موقف المجتمع الأوروبي من الأحلام في العصور الوثنية، فإن اعتناق أوروبا للمسيحية، وجعلها الديانة الرسمية ارتبط أيضا بالحلم[3]، كما شاع أيضًا الأمر نفسه في الجانب الإسلامي عصر الحروب الصليبية؛ فترددت أنباء الرؤى والأحلام التي كانت مرتبطة بالحرب والجهاد ضد الصليبيين، تعبيرا عن الآمال التي تجيش في نفوس الناس حيال واقعهم المرير[4].

كما مثَّلت المعتقدات جانب في الحالة الثقافية للصلبيين في بلاد الشام، فزعم بوشارد اعتقادات بأن التربة الحمراء التي خلق منها آدم التي توجد في حقل دمشق بالخليل لها بعض التأثير حيث "لا يمكن لأي حيوان مفترس مهاجمة الذي يحمل شيئا منها، كما أنها تحمي المرء من السقوط"[5]، ومن الواضح أن الاعتقاد في تلك التربة قد تملكه أيضا؛ فقد اعترف أنه أنه أخذ معه كميات كبيرة منها، وقد فعل الشيء نفسه بقية الحجاج المسيحيين الذين زاروا هذا المكان[6].

كما يُستدل من إحدى روايات وليم الصوري على أثر بعض المعتقدات في فكر الصليبيين ليس فقط على العامة، ولكن على كبار الفرسان منهم، والأكثر من ذلك على كبار رجال الدين، عندما أقر وليم الصوري نفسه بأثر "شارة الرحمة" التي قال إنها "شبح" في تأجج

---

1 *The Antiochene Wars*, p. 165.

2 المؤرخ المجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ج1، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،2000)، ص 34.

3 إمام الشافعي محمد حمودي، "الرؤى والاحلام المقدسة عصر الحروب الصليبية"، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد 30، ج 1، 2011م، ص 567–568.

4 إمام الشافعي محمد، " الرؤى "، ص 565

5 بوشارد (من دير جبل صهيون)، وصف الأراضى المقدسة، ترجمة/ سعيد عبد الله البيشاوى، تعليق/ مصطفي مصطفي الجيارى، (عمان: دار الشرق، ط1، 1995)، ص 160.

6 بوشارد، وصف الأراضى المقدسة، ص 159.

الحماسة[1]؛ بل يتضح من بعض الروايات أن الصليبيين كانوا يجهدون أنفسهم في تفسير الظواهر الطبيعية ليستخلصوا منها إشارات مقدسة؛ فقال فوشيه: "ثم حدث في منتصف شهر يوليو أن بدا شهاب في الظهور بين الشرق والشمال، وكان قد ظهر قبل الفجر مشعـــاً بالضوء حتى الساعة التاسعة تقريبا، كاشفا عن نفسه بضوء باهت، وحاولنا جاهدين أن نفهم مغزاه على مدى ثمانية عشر عاما، ولكننا تركنا معناه للـــرب خالق كل شيء"[2].

ومن الأمور التي كانت تتناسب مع روح العصـــر وجود بعض الخرافات التي أظهرت أهمية الفـــرس بالنسبة للفارس، وهي ما سماها أحد الرحالة الألمان بالخاصية العلاجية لأحد أشجار البلوط التي تلقى عناية واهتمام من السكان؛ لأن الفارس الذي كان يحمل معه قطعا منها فإن حصانه سوف لا يتعثر أبداً[3].

ثالثا: صور من جوانب التأثير والتأثر في الحياة الثقافية عصر الحروب الصليبية.

حدث اتصال دائم للعناصر الشرقية والغربية في أغلب ميادين الثقافة في بلاد الشام[4]، الشام[4]، ففي بداية الوجود الصليبي تبادل الصليبيون العلاقة مع بعض فرق المسيحيين المحليين مثل الأرمن وموارنة جبل لبنان، ولا شك أن محاولات التقارب قد أفادت الصليبيين[5]. وقد كان للسريان دورًا في تعريف الصليبيين بالحركة الثقافية فقد كان منهم من يتوسط بين العلماء العرب والصليبيين[6].

---

1 فروى وليم الصوري في معركة الاستيلاء على القدس "على أنه وسط هذا اليأس الغامر المطلق جاءت النجدة السماوية للمؤمنين فأسعفهم بما يرتجون، إذ ترائى لهم على جبل الزيتون محارب لم يره أحد أبدا حينئذ في هذا الموضع، وقد راح يلوح لهم بدرع يكاد بريقه يأخذ بالأبصار، ويشير به إلى العسكر أن يعودوا لمتابعة ما هم فيه من قتال"، ثم وصف أثر هذا المشهد على الدوق جودفري "فلما شاهد الدوق (جودفري) هذا الشبح العجيب صفقت جوانحه سرورا، وشرع في لحظته ينادي على الناس وكبار القواد بصوت جهوري أن عودوا لما كنتم فيه"، وعلى الرغم من إدراك وليم أن هذا شبح كما ذكر بنفسه، إلا إنه اختتم وصف المعركة مشيرا لأثر"شارة الرحمة التي شاهدوها من فوق جبل الزيتون" ودورها في تأجيج الحماسة. تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج2، ص 120– 122.

2 تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص 303.

3 يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة/ سعيد عبد الله البيشاوي (عمان: دار الشروق، 1997)، ص 98.

4 زكي النقاش، العلاقات، ص194.

5 حسن أحمد عبدالجليل البطاوي، " العلاقة بين الصليبيين في الشرق والوافدين الجدد من الغرب الأوروبي 492– 583هـــ/ 1099–1187 م "، حوليات آداب عين شمس، مجلد 33 ديسمبر 2005، ص 199.

6 زكي النقاش، العلاقات، ص 195.

كما التقى الصليبيون لأول مرة بوصفهم جماعات كبيرة بأبناء الشرق من عرب في فلسطين والشام ومصر، فاعتقدوا بأنهم سيلتقون أقوام بربرية غير أنهم لقوا عكس ما اعتقدوا، وجنت أوروبا وليس المجتمع الصليبي فقط فوائد هائلة من الحروب الصليبية[1]. لقد كان للحروب الصليبية نتائج أخرى عكس النتائج العسكرية والسياسية، وهي النتائج الحضارية من ثقافية وغيرها، فلقد كان مجيء الصليبيين للشرق واحتلالهم للمدن الإسلامية في بلاد الشام، جعل اتصالاهم بالحضارة الإسلامية أشد وثاقا، إذ عايشوا تلك الحضارة طوال فترة إقامتهم في المنطقة. ومن هذه المدن على سبيل المثال مدينة طرابلس والتي كانت تعيش التقدم الفكري والحضاري والثقافي. وأقام بها الصليبيون مائة وثمانين عاما وتأثروا فيها بالعلم والثقافة والمظاهر الحضارية الإسلامية هذا من جانب، كما تأثر الشاميون بالصليبيين[2]. وإذا كان الشطر الأول من العصور الوسطى – بين نهاية القرن الخامس ونهاية القرن العاشر الميلادي– يطلق عليه في تاريخ الغرب الأوروبي العصور المظلمة، وفي تلك المرحلة؛ كانت الحضارة الإسلامية قد بلغت أوج مجدها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وكان النتيجة أنه بوصول الصليبيين إلى الشام في أواخر القرن الحادي عشر، حتى ظهر التباين واضحا بين المجتمعين[3].

وإن كانت الحروب حتمية بين الطرفين وجهاً لوجه، لكن تخللت فترات هذا الصراع حالات سلم واسترخاء طالما سعى إليها الطرفان وفرضتها الضرورة لتحقيق السلام والأمن للأرض والإنسان على حد سواء، بل ووجدت بلادًا حدودية خاضعة لحكم الطرفين وتمت إدارتها مناصفة؛ فحسن جوار ومسالمة وسلاما قد ساد بين المسلمين وجوارهم في بلاد الشام منذ مطلع الحكم الإسلامي لهذه البلاد في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يوصي قادة الفتح بالإحسان لعدوهم وعدم العبث بممتلكاتهم ويقول: "ستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم، وقد أعطى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– الأمان لأهل إيلياء واللد، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم.

وذكر أن عدد قرى بلاد الشام قد بلغت ست عشر ألف قرية، وسكان هذه القرى من الفلاحين، وإذا كان البدو لم يتأثروا بالصراع لوقوعهم على هامش هذه المناطق، إلا أن الفلاحين وهم الفريسة السهلة، فتمسكوا بأرضهم، ليحدث التعايش السلمي بين الطرفين

---

1 بورورو مباركة، تأثير الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا خلال القرون الوسطى، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، 2012، ص 39

2 عمر عبد السلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس، ص 64–74.

3 سعيد عبدالفتاح عاشور، " ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام"، ص 34.

الصليبي والإسلامي- في بلاد المناصفات- على الحدود المشتركة فيما بينهم؛ فعلى سبيل المثال ما نصت عليه المعاهدات بين المسلمين الفرنج مثل معاهدة 682هـ/ 1283م بين الأشرف قلاوون والفرنج في عكا[1]. وحدث تقارب عند صليبيي الشرق نتيجة عوامل عدة منها هذا الاستقرار وامتلاكهم بيوتا وقصورا، وعوامل نفسية والتقاء مصالح طرفين فغيرت البيئة الشامية من أخلاقهم مع جيرانهم الجدد وأخذوا بعاداتهم[2]. فقد كانت سياسة التعايش مع المسلمين التي اتبعها الصليبيون تتناسب مع مرحلة الغزو الاستيطاني، والتي تهدف إلى بقاء مستوطناتهم على أرض الشرق. ولتحقيق هذه السياسة سار الصليبيون على ثلاثة محاور أساسية ؛ حربي؛ وسياسي؛ واجتماعي[3].

وكانت اللغات من الكثرة بحيث اشتملت على جميع لغات أوروبا الغربية والأقطار الجنوبية منها: اللاتينية لغة الكنيسة والدولة، والفرنسية هي لغة البارونات والعامة، والإيطالية لغة التجار، وكان الكثير من السادة الإقطاعيين فضلا عن المولدين قد أتقنوا اللغة العربية وذلك للتفاهم مع أصحاب البلاد وللإدارة والتجارة[4]؛ ووجد أمراء الفرنجة وإقطاعيهم ورجال الدين وتجارهم أن المصلحة تقتضي تعلم اللغة العربية. وممن اتقن اللغة العربية الأمير "ريموند الثالث" كونت طرابلس (547- 583 هـ/ 1152- 1187 م) الذي تعلمها خلال فترة وقوعه في الأسر بيد المسلمين في حلب، كما اتقن الكاتب الشهير "وليم الطرابلسي" التكلم باللغة العربية الفصحى[5]، وسُجل بشكل واضح عن رينالد دي شاتيون (أرناط) أنه تكلم باللسان العربي، ومن المحتمل أنه اكتسبه في السنوات الطويلة من الأسر[6]، وأيضاً صاحب الشقيف رينالد (585 هـ)[7]، بالإضافة إلى ما برع فيه بعض الفرسان من الترجمة من العربية وإليها عندما كان الطرفان الإسلامي والصليبي يتحدثان في الصلح[8]، إلا أن عدد

---

1 خالد سليمان الشريدة، المناصفات في بلاد الشام : مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج و المسلمين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 26، 2012، ص143-144.

2 خالد سليمان الشريدة، المناصفات، ص 153.

3 حسن أحمد عبدالجليل البطاوي، " العلاقة بين الصليبيين في الشرق والوافدين الجدد "، ص 198.

4 زكي النقاش، العلاقات،ص 197

5 عمر عبد السلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس، ص 64-74.

6 Archer & Charles, *The Crusades*, p. 291.

7 ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، ص 10.

8 جمعة الجندي، الاستيطان الصليبي، ص 278.

أولئك الذين تعلموا العربية بين الطبقة العليا ظل ضئيلًا جداً [1]، فلم تكن لغة التخاطب في مملكة بيت المقدس وإمارة أنطاكية سوى لغة شمال فرنسا الشائعة عند النورمانديين[2].

وقد ذكر ابن جبير أن رجال الجمارك في عكا "... يكتبون بالعربية ويتكلمون بها ..."[3]، وعلى مستوى الدراسة والعلم نعرف أن وليم الصوري، الذي عرف اللغة العربية وأتقن إجادتها قد استخدم نصوصا تاريخية وأدبية وعربية في كتابه المشهور، كذلك كان زعماء فرسان الاسبتارية والداوية، وكبار موظفي البلاط في مملكة بيت المقدس يعرفون اللغة العربية [4].

على أية حال يجب توخي الحذر في الآراء التي ترى أن الفرنجة تلاءموا مع محيطهم الشرقي – كما يرى أحد الأساتذة [5] – متفقاً مع رأي كلود كاهن الذي يرى أنه لم يتمكن الفرنجة من الذوبان في السكان المحليين على الرغم من مرور قرنين من التعايش؛ ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى علاقتهم مع الغرب[6]، حيث ظل المجتمع الفرنجي تابعاً لأوروبا[7].

فمن المعروف أن وجود التراجمة كان أمرا ضروريا من أجل التواصل بين الثقافات المختلفة، وإزالة الحواجز السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والدينية. وبمعنى آخر لا يمكن المواجهة بين المسلمين والصليبيين في المعارك أو جمع الضرائب أو التجارة أو زيارة الأماكن المقدسة دون أن نرى شخصية المترجم دائمة الحضور[8]. كما أقبل بعض الشاميين على التضلع، من اللاتينية، ومنهم الحكيم تادري الأنطاكي اليعقوبي النحلة، فقد تعلم

---

1 مايز، تاريخ الحروب الصليبية، ص 269.

2 ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية– الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس، ترجمة/ السيد الباز العرينى، ج 2، ط 3، 1993، ص 470.

3 ابن جبير الكناني (أبو الحسين محمد ت 615هـ/ 1218م)، رحلة ابن جبير، ضبطه ووضع فهارسه/ محمد زينهم (لقاهرة: دار المعارف، 2002)، ص240.

4 قاسم عبده قاسم، " بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية"، عالم الفكر، مج 22، ع 2، 1993، ص 394.

5 ر.س.سميل، فن الحرب عند الصليبيين، ترجمة/ محمد وليد الجلاد، (دمشق : الدراسات العسكرية، 1985)، ص 109 – 110، ص 79 – 80.

6 كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة/ أحمد الشيخ (القاهرة: دار سينا، 1995)، ص 267.

7 مايز، تاريخ الحروب الصليبية، ص 20 – 268.

8 محمد إبراهيم محمد خلف، "دور التراجمة اللاتين في حصار أنطاكية 490–491هـ/ 1097–1098م" مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مجلد 13، العدد 2، 2021، ص 156.

اللغة السريانية واللاتينية بأنطاكية وشدا بها شيئا من علوم الأوائل[1]. وقد نتج عن هذا الاختلاط بين اللغات المختلفة تبادل الكلمات، فنجد من الكلمات العربية في اللغات الأجنبية، في غربي أوروبا، منها ما يتعلق بالتجارة والملاحة، ومنها ما يختص بالفنون والصناعات والعلوم[2].

كما أن الصليبيين قد بدأوا يترجمون الكتب العلمية خاصة في مجال الطب إلى اللاتينية، ويذكر الباحثون أنه قد ترجم خلال تلك الفترة في الإمارات الصليبية كتاب كامل الصنعة لعلي بن عباس المجوسي ترجمه ستيفن البيزوي في أنطاكيه، كتاب سر الأسرار الباحث في طب العيون المنسوب لأرسطو ترجم من العربية إلى اللاتينية في أنطاكيه؛ وكان هذان الكتابان أكثر الكتب انتشاراً في أوروبا في العصور الوسطى، وكان كتاب كامل الصنعة هو المصدر المهم لمدرسة الطب التي أنشيت بمدينة ساليرنو[3].

وعلى أرض الواقع ومن خلال الاحتكاك الفعلي مع المسلمين، كان العلماء من ضمن الحاملين للمشاعر الإيجابية تجاه المسلمين، الذين كانوا جزءًا من النمو الحضاري الغربي وعُرفوا "بنهضة القرن الثاني عشر"؛ وكان من أوائل العلماء المستفيدين من الاحتكاك بالمسلمين والتي أتاحتها الحملات الصليبية رجل إنجليزي يُدعى أديلارد Adelard of Bath قام بعد الحملة الصليبية الأولى بزيارة صقلية النورمندية، ومنها رحل للإمارة النورمندية في أنطاكية، وعلى الرغم من احتمالية زيارته للقدس، إلا أن رحلته لم يكن هدفها الرئيسي الحج بل الدراسة والتعلم على يد أساتذة عرب، وقضى سبع سنوات على هذا النحو قبل عودته إلى إنجلترا وتدوين"Quaestione Naturales" ليظهر ما تعلمه، وكان على هيئة حوار بينه وبين ابن أخته أو ابن أخيه المتعلم في جامعات شمال فرنسا، وهدف أديلارد Adelard لإظهار طريقة العرب الفريدة في التعلم وكمية المعلومات التي تعلمها على أيديهم، وفي أحد النقاط خلال حواره مع مناظره عن علم الحيوان قال له في غضب: "من الصعب التحدث معك عن الحيوانات، لأنني تعلمت على يد المعلمين العرب تقديم الحجج والبراهين، ولكنك تعلمت عملية فرض الرأي وتكوين رأي مخالف دون بنائه على أدلة وبراهين". وكان أديلارد Adelard من أوائل علماء الغرب الذين تتلمذوا على يد أساتذة عرب في القرنين الثاني

---

1 ابن العبري (غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الطبيب الملطي)، تاريخ مختصر الدول، (لبنان: الرائد، ١٩٩٤)، ص 477.

2 نقاش، العلاقات، ص 197.

3 عبدالعزيز بن راشد بن عبدالعزيز العبيدي، " التأثيرات الحضارية الإسلامية على الغرب الأوربي خلال الحروب الصليبية"، دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس - كلية التربية - مركز تطوير التعليم الجامعي، ع 23، 2012، ص 305.

والثالث عشر، خلال ترجمته أعمال كثيرة في مجالات الفلسفة والعلم والمنطق إلى اللغة اللاتينية، وبهذه الطريقة وفي الوقت الذي كانت فيه الحملات الصليبية في قمتها، كان علماء أوروبا الغربيون يكنون الاحترام لتعليم الإسلام[1].

وحينما عاد إلى انجلترا عين معلماً للأمير هنري الذي أصبح الملك هنري الثاني وأهدى إليه أحد كتبه، وقد تضلع من ثقافة العرب وآثر مذهبهم في العلم، فقال في كتابه المسائل الطبيعية مخاطباً ابن أخيه: إنني– وقائدي هو العقل –قد تعلمت من أساتذتي العرب غير الذي تعلمته أنت، فبهرتك مظاهر السلطة بحيث وضعت في عنقك لجاماً تقاد قياد الإنسان الحيوانات الضارية ولا تدري لماذا؟ ولا إلى أين؟ فقد منح الإنسان العقل لكي يفصل به بين الحق وبين الباطل...فعلينا بالعقل أولاً فإذا اهتدينا إليه– لا قبل ذلك –بحثنا عن السلطة فإن سايرت العقل قبلناها وإلا...[2].

وقد استثار الصليبيين في بلاد الشام بعض الإنجازات العلمية للمسلمين، فخلال حصار عسقلان سجل وليم الصوري رواية لأمر لم يبدو مألوفا له؛ فقد أثار انتباهه المصابيح التي "وضعت على طول الأسوار والأبراج الحصينة، وكانت مصابيح زجاجية ملأى بالزيت، ولها أغطية شفافة للحفاظ عليها وعلى شعلتها من الانطفاء، مما كان يحيل الليل إلى نهار ساطع، وقد عاونت هذه المصابيح العسس على القيام بدورياتهم المعتادة على الأسوار"[3]. كما كان في وصف قصر الخليفة الفاطمي ما يدل على تقدم فن العمارة الإسلامية فقد كان ذلك القصر "فريدا في نوعه، ويسير على تقاليد لم نألفها ــ في الغالب ــ في عالمنا الغربي"[4]، كما أشاد وليم الصوري بالصانع فقال: "وتبدو في هذا المكان كل مظاهر الأبهة الملوكية التي أبدعتها يد الصانع الماهر، ومما يشير إلى روعة الصنعة أنها بلغت حدًا من الإبداع يجعل العين لا تستطيع إلا أن تحملق في دهشة من روعة هذا الجمال النادر الذي لا يكل المرء من التطلع إليه"[5].ولم تتوقف الجهود العلمية للمسلمين على البحث العلمي فقط، بل شملت أيضًا البحث المتصل بالبيئة والأماكن ورسم الخرائط الموضحة لها؛ مثل حديث أحد مؤرخي اللاتين عن محاولة الأيوبيين كشف منابع النيل في مصر[6].

---

1 Hamilton, B., "Knowing the Enemy: Western Understanding of Islam at the Time of the Crusades," *Journal of the Royal Asiatic Society* 7/3 (Nov., 1997), p. 379.

2 عبدالعزيز بن راشد بن عبدالعزيز العبيدي، "التأثيرات الحضارية الإسلامية"، ص304.

3 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج 3، ص 355 .

4 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج4، ص46 .

5 تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج4، ص47 .

6 جوانفيل، القديس لويس– حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة : دار المعارف، 1968)، ص 105.

كما تأثرت قوانين بيت المقدس في بعض جوانب بالتشريع والأعراف الإسلامية ونسوق دليلين على ذلك أولهما القانون البحري الصليبي الذي يتطابق في بعض جوانبه مع القانون البحري الإسلامي، والقانون الطبي الصليبي الذي تأثر إلي حد كبير بكتب الحسبة الإسلامية التي قننت الممارسة الطبية[1]. كما كان من الطبيعي أن يتأثر القانون البحري الصليبي ببعض القوانين البحرية في البحر المتوسط قبل وصول الصليبيين لبلاد الشام[2]، وأن مجموعة القوانين الخاصة بالطبقة الوسطى (كتاب تشريعات محكمة البرجوازية) تنضح بالروح الرومانية حتى ذهب البعض "أن هذه القوانين نفسها كانت منسية في بلدان أوروبا الرئيسية[3]؛ ويعتبر هذا الكتاب هو العمل القانوني الوحيد من بين قوانين مملكة بيت المقدس، الذي تأثر في بعض فصوله بالقانون الروماني، ورغم ذلك فإن تطورات قانون المملكة التي أوردها الكتاب نفسه نقضت هذه القواعد الرومانية[4].

أما قانون التأمين على الخيول عند الصليبيين كان قانونا فريدا في عصره غير مسبوق في الغرب المسيحي أو الشرق الإسلامي، جاء استجابة لتحدى نقص الخيول المخصصة للأغراض العسكرية لدى الصليبيين لضمان توفيرها وقت الحاجة، غير أن الواضح أن التحدي كان أكبر من أن يعالجه سن قانون ومن ثم استمر الصليبيون يعانون من نقص الخيول حتى نهاية تواجدهم في الساحل الشامي[5]. الشامي[5].

أما عن تأثير هذه القوانين فمن الجدير بالذكر أن مترجم قوانين أنطاكية هو الكندسطبل (قائد جيوشها) سمباد ولد عام ١٢٠٦م وأبوه هو قسطنطين الوصي على المملكة الأرمينية في قليقية بعد موت ليو الثاني. وقد ترك لنا سمباد حولية أو تاريخا مختصرا لمملكة قيليقية الأرمينية؛ لكنه ترك لنا عملين آخرين أكبر حجما، لم يكن هو كاتبهما، أولهما المقصود به قوانين أنطاكية. ما يعنينا في هذا الأمر دور الأرمن في حفظ هذه القوانين، فضلا عن الهدف من هذه الترجمة. في هذا الإطار يمكن القول بأن أرمينيا لم تلعب دورا هاما في أحداث العالم القديم ، لكنها كانت تتبع القوى الكبرى وارتبطت بها. وفيما يخص موضوع القوانين، فإن أرمينيا استخدمت بصفة عامة قوانين تلك الأمم المتغلبة. أقدم هذه والنماذج هي القوانين

---

1 محمد فوزي رحيل، " قانون التأمين على خيل الحرب في مملكة بيت المقدس الصليبية "، ص 311

2 حاتم الطحاوي، "القانون البحرى لمملكة بيت المقدس الصليبية "، ص 505

3 زكي النقاش، العلاقات، ص 157.

4 حسين محمد عطية، تشريعات الصليبيين: دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية، ص 125.

5 محمد فوزي رحيل، "قانون التأمين على خيل الحرب في مملكة بيت المقدس الصليبية "، ص 312.

البيزنطية، لكن بالقرب من نهاية القرن الثاني عشر في أرمينيا ولد شعور بالحاجة إلى قوانين، وشرع كاتبات في طرفي الأراضي الأرمينية في العام ذاته ١١٨٤م في وضع مجموعة قوانين تلبي حاجة مواطنيها. وكان هذا القانون ساريا في قليقية عندما أدخله سمباد وأعاد صياغته ليتفق مع احتياجات المملكة التي أصبح بمثابة حام لها أو وصي عليها عند وفاة والده. ووجد إن بعض القوانين الموجودة ربما تصلح لتكون نموذجا في المحاكم العادية، أما بالنسبة للمحاكم العليا بمملكة قيليقية والتى جرى تعديلها منذ وقت طويل وفقا لأعراف الغرب الأوروبي، فكان لا بد من وجود قاعدة جديدة، لذلك فقد فضل قوانين أنطاكية على أي قانون آخر. قام سمباد بترجمة قوانين أنطاكية إلى اللغة الأرمينية مستخدما بعض الألفاظ الفرنسية القديمة والألفاظ التركية مع اللهجة الأرمينية العامية[1].

من الواضح أن الأرمن رحبوا بمجيء الصليبيين إلى الأراضي المقدسة، والمعروف أن العنصر الأرمني كان هو المسيطر على الرها عند وصول الصليبيين، فبعدما عبر قادة الحملة الصليبية الأولى جبال طوروس، وتحول بلدوين شرقا ، تأسست أولى الإمارات الصليبية في الشرق 1098 كان الأرمن بوجه الخصوص كثيري العدد في كونتية الرها، وشاركوا بشكل محدود في أمور السلطة الفرنجية، وكان البارونات والفرسان الفرنجة يتزوجون في الغالب من نساء أرمينيات، و يمكن القول إن إمارة الرها خلال عمرها القصير (١٠٩٨_١١٤٦) كانت إمارة فرنجية / أرمينية، عندما اقترب الصليبيون من أنطاكية ١٠٩٧م رحب بهم الأرمن. وقد اشتهر الأرمن بأنهم قوم محاربين، وانخرطوا في جيوش الفرنجة. قد سار الأرمن على النظم الإقطاعية للصليبيين في بلاد الشام[2].

لمعرفة مدى التاثر بالغرب الأوروبي على الإنتاج الثقافي في المجتمع الصليبي ببلاد الشام وتطورها، يمكن ملاحظة المقارنة التي عقدت بين مصدرين المصدر الأول المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum والذي تمت كتابته في بداية الحملة قبل عام 1102م ومن المرجح أنه بدأ في كتابة مؤرخه أثناء إقامة الصليبيين في أنطاكية بعد الاستيلاء عليها[3]، أي كتب

---

[1] حسين محمد عطية، تشريعات الصليبيين : دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية، ص 37-40.

[2] الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 90-95.

3 بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة/ قاسم عبده قاسم (القاهرة: دار المعارف1981)، ص 138.

روايته حوالي سنة 1100–1101 م[1]، والمصدر الثاني Tancredus of Ralph of Caen كتب بين عامي 1112 و 1130م بعد حكم تنكريد[2] في أنطاكية وموته. والدراس لتاريخ الحروب الصليبية لا غنى له عن الرجوع للمؤلفين ويستطيع بسهولة أن يقرر أن النصين مختلفان تماما في الغرض والفكر والأسلوب.

فإن أعمال الفرنجة The Gesta Francorum عبارة عن مذكرات شاهد عيان كتبها بلغة لاتينية بسيطة وعلى النقيض منها Ralph of Caen's Tancredus عمل راقي مكتوب بشكل جيد عن سيرة الزعيم النورماني. فقد درس Ralph of Caen[3]في نورماندي حتى عام 1106م في مدرسة سان إتيان من كاين Saint Etienne of Caen على يد السيد أرنولف Arnulf of Chocques، وتعد مدرسة سان إتيان من كاين واحدة من أهم المدارس في دوقية نورماندي في أواخر القرن الحادي عشر في الدير الشهير الذي أسسه وليم الفاتح، فقد شهدت نورماندي (وانجلترا) التطور الثقافي[4].

كان أهم ما نجم عن الحملات الصليبية من المعرفة والخبرة هيأ مادة جديدة للتفكير العلمي والخيال الشعري في آن واحد[5]، كان للآداب العربية تأثير في بعضهم واستوحاها بعض شعرائهم وكتابهم، فعلى سبيل المثال أسطورة "الكأس المقدسة" تتضمن عناصر ترجع

---

1 قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، (القاهرة: دار عين للدراسات الإنسانية، 2001)، ص 76.

2 تنكريد: انحدر من سلالة معروفة ومشهورة؛ فوالده المركيز أودو، ووالدته إما Emma (أخت بوهيموند النورماندي)، وقد كان تنكريد بالنسبة لوالده ابناً غير مميز، أما بالنسبة لأخواله فقد كان أكثر من ابن أخت، وقد قدم للشرق مع الحملة التي قادها خاله. وليم الصوري، تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج1، ص 174؛

The GestaTancred of Ralph of Caen, trans. by Bernard Bachrach and Daivid Bachrach, (Ashgate, 2005), p. 21.

3 ولد في مدينة كان Caen عام 1080م . قبل 15 عاماً من الدعوة إلى الحروب الصليبية في مجمع كليرمونت بفرنسا في 27 نوفمبر عام 1095م، وقد توجه للمشاركة في حملة الأمير الصليبي بوهيمند Bohemond النورماندي ضد الإمبراطورية البيزنطية عام 1107م، ثم سافر إلى بلاد الشام عام 1108م كي يلتحق بخدمة الأمير الصليبي تانكردTancred ، وظل في صحبته إلى أن أدركته منيته عام 1113م. ولا نغفل الإشارة إلى التحاقه بسلك الرهبنة؛ حيث عمل في خدمة سيده تانكرد، كما تولى إحدى الوظائف الدينية في بطريركية بيت المقدس. دي كان، رادولف، ومحمد مؤنس عوض، " أعمال تانكرد ملك صقلية في الحملة على بيت المقدس"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، مجلد 38، العدد 151، (2020) ص 283–292، ص 283.

4 Edoardo d'Angelo, "A Latin school ",p.79.

5 بورورو مباركة، تأثير الحضارة العربية الإسلامية، ص 40

إلى أصل شامي، فلا بد أن يكون الصليبيون قد سمعوا بعض قصص ألف ليلة وليلة أو كليلة ودمنة وأفادوا منها شيئا[1].

لابد من الوضع في الاعتبار أن التصور الأوروبي في عصر الحروب الصليبية لم يكن فقط ناتجا عن الكتابات التي حملتها كتب مؤرخي تلك الفترة، ففي مجتمع تسري فيه الأمية على نحو ما ساد أوروبا آنذاك؛ لا يمكن الاعتماد على الكلمة المكتوبة وإنما على الكلمة المسموعة. ومن هنا نجد أن الشعر الشعبي والأغاني التي كانت تُنشد في التجمعات الشعبية كانت تعد بديلا إعلاميا مناسبا وفعالا[2].

ولما كان من المحتم على الصليبيين أن يحاولوا المواءمة مع البيئة الجديدة؛ فلم يكن بوسعهم أن يتجنبوا الاتصال بجيرانهم ورعاياهم، بالإضافة إلى ضرورة تقدير حالة المناخ في بلاد الشام: فالشتاء في فلسطين والشام قارص البرودة ويكاد يضارع في برودته اللاذعة ما هو سائد في الغرب الأوروبي، غير أنه قصير الأمد، أما الصيف فقد تميز بالطول وشدة الحرارة الأمر الذي يناقض الصيف في أوروبا[3]. ولم تكن ألوان الطهي الشرقية تتلاءم مع المناخ السائد فحسب، ولكن التوابل المشهية واستخدامها في اللحم والأسماك والصلصة جعلت من السهل على الأطعمة أن تحوز السبق على الأطباق الكثيرة المعروفة في أوروبا[4]؛ لذلك لم يجد الخدم الشرقيون وخاصةً الطهاة صعوبة في تقديم فنونهم لكل من أبناء البيوتات النبيلة والعادية على السواء، حتى تباهى أحد الفرسان الصليبيين بوجود طباخات مصريات يجهزن له الطعام[5] قائلا لابن منقذ: "كل طيب النفس، فأنا ما آكل من طعام الإفرنج، ولي طباخات مصريات ما آكل إلا من طبخهن"[6]. وكانت مهنة الطباخ تعتبر من المهن الشريفة؛ فقد تلقى طباخ جون الإبليني ريع سنوى 80 بيزنت[7]. وضمت قائمة طعامهم على اللحم والخضروات والخضروات والفواكه والبيض واللبن، واعتادوا على نكهة أطعمتهم بالكثير من الثوم والفلفل والخردل والتوابل وكانت وجبات الطعام مصحوبة بالنبيذ، فقد كان طعامهم غنى ومتنوع[8]،

---

1 زكي النقاش، العلاقات، ص 199.

2 قاسم عبده قاسم، المسلمون وأوروبا: التطور التاريخي لصورة الآخر، (القاهرة،:دارعين للدراسات الإنسانية، 2008)، ص 126.

3 الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 245.

4 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 147.

5 الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 244؛ يوشع براور: المرجع السابق، ص 147؛ وأيضًا Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land*, p. 378

6 الاعتبار، ص 170.

7 Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land*, p. 377.

8 Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land*, pp. 326 – 377.

وقد رأى البعض أن الصليبي قد أقلع عن لباسه الأوروبي وبدّله بثياب شرقية[1]، حيث أطالوا ملابسهم وحلوها بالجواهر[2]، وبالأخص العبايات المتدلية[3]، وفي الشتاء ارتدوا العباءة المزينة بالفرو، فالملك بلدوين الأول "ارتدى دائماً عباءة تتدلى من كتفيه" [4]، وبلغ الأمر بتنكريد صاحب أنطاكية أن سك النقود وعليها صورته في زي عربي[5]، كما أن الصعوبات التي أحاطت بهنري شامبني جعلته يحرص على كسب ود صلاح الدين، فأرسل إليه "يستعطفه ويستميله ويطلب منه خلعة " وقال له " أنت تعلم أن لبس القبار والشربوس عندنا عيب وأنا ألبسها منك محبة "، فما كان من صلاح الدين إلا أن أرسل إليه خلعة سنية ومنها القبا والشربوش ففرح بها وارتداهما في عكا "[6]، وهكذا ظهر من الرواية السابقة ما يؤكد اتخاذ الفرسان للزي الشرقي، ولكن فحواها تؤكد الرأي القائل بأن تفضيل الملابس ظل أوروبياً[7]، وأن اتخاذ الفرسان لها قد يكون مثل الحالة السابقة للأسباب السياسية، بالإضافة في حالات أخرى وذلك لملاءمة الملابس المحلية للمناخ الدفيء[8] فقد كان الصليبي على استعداد للاستفادة من ميزة المنسوجات التي لم تكن متوفرة في أوروبا سوى في بيوت الملوك والأمراء[9].

وعلى الرغم من كل ما سبق ذكره، فقد رأى الغرب اللاتيني زمن الحروب الصليبية نفسه الأفضل من "الآخر" بشكل عام؛ خاصة إذا كان هذا "الآخر" مختلفا دينيا (مثل اليونانيين الأرثوذكس) أو دينيا/ سياسيا (مثل المسلمين). وعلى هذا الأساس من التعالي الثقافي لخص أحد المؤرخين اللاتين وقت الحملة الصليبية الثالثة نظرتهم لأنفسهم بقوله: "إن اللاتين كانوا مهرة في العلم والحرب على السواء"، وكان ذلك من وجهة نظره سببًا في حقد اليونانيين

---

1 نظير حسان سعداوي، الحرب والسلام، ص 172؛ الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، 242؛ Rey, Les Colonies Franques De Syrie (Paris, 1883), p. 11.

2 الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، 244

3Archer & Charles, *The Crusades* , p.292.

4 Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land* , p. 372.

5 الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 244.

6 ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيباني الجزري والملقب بعز الدين ت 630هـ/ 1232م)، الكامل الكامل في التاريخ، ج 12 (بيروت: دار صادر، 1966)، ص 78 – 79؛ الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 244.

7 يوشع براور، عالم الصليبيين ، ص 147.

8 Hitti, "The Impact of the Crusader on Moslem Lands", p. 45.

9 يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 147.

عليهم وغيرتهم منهم[1]، وفي نفس السياق ولكن زمن الحملة الصليبية الخامسة وصف أحد رجال الدين والمؤرخين اللاتين الشعوب المخالفة لمذهبه بالهمجية والبربرية وعدم التمدن[2].

ولا بد من الوضع في الاعتبار هنا أن في خضم الحروب الصليبية كانت الثقافات المشتبكة في هذه الحروب تصم خصومها بالبربرية والوحشية، وتُنسب إليهم العديد من الصفات السلبية؛ وهو الأسلوب الذي استخدمته الأميرة *اليونانية* أنا كومنينا لوصف خبر وصول الصليبيين اللاتين إلى الأراضي البيزنطية خلال الحملة الصليبية الأولى[3]. لذلك لذلك ففي رأي البعض أن استخدام مصطلح "برابرة" على هذا النحو كان أمرًا تقليديًا؛ إذ إن الكلمة تصف ثقافة أجنبية ومؤسسات غربية، مثلما استخدم الإغريق القدامى هذا المصطلح للدلالة على كل من لا يأخذون بالأسلوب الأغريقي، واستخدمها الرومان لتحقير الآخر بشكل عام[4]. ومن المثير أن وليم الصوري – الذي كان هو نفسه نتاج الاستيطان الصليبي بعد حوالي سبعين سنة من الخطبة التي ألقاها أوربان الثاني في كليرمون – كتب متخيلًا كيف كان رد فعل الخليفة الفاطمي تجاه الحملة الصليبية الأولى؛ فاستخدم مصطلح البرابرة على لسان الخليفة في سياق كتابته التاريخية للدلالة على قومه[5].

من ناحية التأثير فلقد فاقت الحروب الصليبية غيرها من الحروب الخارجية في النتائج البعيدة؛ وإن اختلف المؤرخون في تقدير ذلك الأثر، خاصة في نهضة أوروبا، وإن كان بصورة غير مباشرة مثل باقي المعابر. وفي نطاق هذا البحث يمكن القول أن النشاط الصليبي كان له أثره في ازدياد المعلومات عن الشرق ومعرفة الأوروبيين عن العالم الخارجي أو عن الآخر؛ وإن تأثر بحركة دعائية ما.

---

1 المؤرخ المجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ج1، ص67–68.

2 جاك الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص 114.

3 "لم يكن الإمبراطور قد استراح حين بلغ سمعه الشائعة التي كانت تقول أن جيوشًا كثيفة من الفرنجة آخذة في في الاقتراب، فساوره القلق من جراء وصولهم لعلمه بما هم عليه من اندفاع جموح وطبع فاسد، ناهيك عن الصفات الذاتية التي طبع عليها الكلت...غير أن ما جرى كان أكثر فداحة مما تقول الإشاعات؛ لأن الغرب بأجمعه وجميع الشعوب المتبربرة التي تعيش فيما بين الأدرياتيك ومضيق جبل طارق نزحت دفعة واحدة من آسيا مخترقة أوربا قطرًا قطرًا". أنا كومنينا، ألكسياد، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004م)، ص387– 388.

4 قاسم عبده قاسم، المسلمون وأوروبا: التطور التاريخي لصورة الآخر، ص 138– 139 .

5 "إن أمير مصر (خليفة مصر الفاطمي) أقوي الحكام بين شعوب الشرقيين، قد استدعي العسكر من كل البلاد الخاضعة لسلطانه, وجمع منهم جيشا واحدا كثيفا؛ لأنه كان غاضبا أشد الغضب أن يجيء شعب همجي (بربري) من أقصى مناطق العالم فيغزو مملكته, ويستولي عنوة على إحدى الولايات الخاضعة له. تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ج2، ص 160.

وأثرت الحروب الصليبية في تطور فن الحرب عند الغربيين، خاصة في عمارة القلاع وبنائها، إلى جانب تقدم فنون الحصار وصناعة المجانيق والكباش، وتطور دروع الفرسان وخيولهم، واستخدام الصليبيين الرسائل العسكرية عن طريق الحمام الزاجل. كما كان من نتيجة الاتصال بالعرب في الشام كثرة استعمال الشارات والرنوك في الغرب الأوروبي[1].

الخاتمة:

- تأثرت الأوضاع الثقافية للمجتمع الصليبي في بلاد الشام بالعديد من العوامل منها: نوعية الصليبيين الذين نزحوا من الغرب الأوروبي، طبيعة علاقة الصليبيين في بلاد الشام بأوطانهم التي نزحوا منها، ثم علاقة ذلك المجتمع الصليبي بالمحيط الإسلامي الكبير الذي أحاط بهم من كل جانب، فضلا عن علاقاتهم بالمسيحيين الشرقيين.
- عند دراسة الأحوال الثقافية للمجتمع الصليبي لابد من التمييز بين عهدين أساسيين: مجتمع ما قبل معركة حطين عام 1187 م/ 583 هـ، ومجتمع ما بعد معركة حطين.
- كان المستوى التعليمي للشرائح العيا من النبلاء مساويًا لمستوى أقرانهم الأوروبيين.
- وقع الإنتاج العقلي للصليبيين في بلاد الشام في ثلاثة أقسام: أولًا الحوليات والتواريخ، وثانيًا المؤلفات القانونية، أما القسم الأخير فتمثل في الشعر القومي والعاطفي.
- ظهرت حالة الإنتاج الثقافي في المجتمع الصليبي كاستجابة لبعض التحديات؛ فالاهتمام بالتاريخ جاء لأهميته في الدعاية لهذه الحروب، ولإضفاء صفة الشرعية على سيطرة الصليبيين السياسية على المشرق الإسلامي في بلاد الشام.
- تمت صياغة قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية من أجل تسيير عجلة الحكم في جميع شئون المملكة سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية، واختلفت من قرن لآخر طبقا لهذه الحاجة؛ فوضع فقهاء القانون في مملكة بيت المقدس عدة

---

1 سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زغلول عبد الحميد، أحمد مختار العبادي، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية ،(القاهرة : دار النهضة العربية، 1963)، ص 58.

نظريات كحلولا لمسائل قانونية كانت مبهمة: فقانون القرن الثاني عشر الميلادي كان قانونا منحاز للسلطة الملكية، بينما ظهر في قانون القرن الثالث عشر الميلادي الاستجابة للتغيرات الاجتماعية والسياسية، وبدأ القانون ينحاز للنبلاء أتباع الملك أمام تقلص نفوذ التاج.

- كانت الجغرافيا أحد العلوم التي عُني بها الصليبيون؛ نظرا للعلاقة الوثيقة بين مؤلفات الفلكيين والجغرافيين ونشاط الملاحة والتجارة.
- على الرغم من أن العمارة في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر شابهت إلى حد كبير عمارة المدارس في جنوب فرنسا؛ إلا أن جوارهم للعرب والبيزنطيين أتاح لهم فرصة الاطلاع على فنون العمارة لديهم، وفضلوا نمط البناء المتلائم مع ظروف البلاد وأجوائها في بعض مناحي الحياة.
- لم يبرع الصليبيون في بلاد الشام في صياغة النبوءات فقط، بل وتوظيفها سياسيًا وعسكريًا؛ لكن لابد من الوضع في الاعتبار أن حضارة أوروبا العصور الوسطى قد كانت في بعض جوانبها مستمدة من التراث الكلاسيكي، فكان للأمر جذور في المجتمع الأوروبي القديم، خاصة الأساطير اليونانية، كما شاع أيضًا الأمر نفسه في الجانب الإسلامي عصر الحروب الصليبية.
- استثار صليبيين بلاد الشام بعض الإنجازات العلمية للمسلمين.
- تعد قوانين بيـــت المقـــدس وأنطاكية أنموذجا مثاليا لملاحظة أبرز مظاهر التأثير والتأثر في الأحوال الثقافية للمجتمع الصليبي في بلاد الشام، فقد تأثرت في المقام الأول بقوانين الغرب الأوروبي وفي جانب آخر ظهر التأثر بالمسلمين بل وتأثر في بعض فصوله بالقانون الروماني في حين انبثقت فصول قانونية فريدة كاستجابة لتحديات تتعلق بحالة الصليبيين. وجاء أبرز مظاهر تأثير هذه القوانين لدى الأرمن.
- ظهر في المجتمع الصليبي في بلاد الشام حالة ثقافية ذات طابع خاص بداية من الحملة الصليبية الثانية 542- 544 هـــ/1147- 1149م في الاختلافات الثقافية والاجتماعية بين الصليبين الوافدين والبولان الأمر الذي سجلته المصادر المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع – Bibliography

أولا :المصادر الأجنبية :

- Anna Comnena, The Alexiad, trans. E. A. S. Dawes, (London, 1967).

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: أنا كومنينا، ألكسياد، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004م).

- Anonymous,The Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi. Ed. And trans. Helen J. Nicholson. Aldershot, UK/ Bookfield VT: Scholar Press, 1997.

اعتمد البحث على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ج1، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،2000).

- Anonymous, La Continuation de Guillaume de Tyre (1184- 1197), par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1952.

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول، ذيل وليم الصوري، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية،2002).

- Burchard of Mount: "A Description of the Holy Land", A.D. 1280. English trans. by M. A. Aubrey Stewart, in *P. P. T. S.*, Vol. XII, (London, 1933).

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: بوشارد (من دير جبل صهيون) وصف الأراضى المقدسة، ترجمة/ سعيد عبد الله البيشاوى، تعليق/ مصطفي الجيارى، (عمان: دار الشرق، ط1، 1995).

- Chanson d'Antioche: An Old French Account of the First Crusade, Crusade Texts in Translation, trans. by Edgington, Susan and Sweetenham, Carol, (Ashgate Publishing Group, Farnham, Surrey, GBR,2011).
- Fulcher of Charter, A History of Expedition to Jerusalem. H. Finf (ed.) Knoxille, 1969.

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس 1095–1127م، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، (القاهرة: دار الشروق، 2001).

- Jacques de Vitry, History of Jerusalem, trans. by Aubrey. Stewart, in *P. P. T. S.*, IX, (London, 1897).

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: جاك الفيتري، *تاريخ بيت المقدس*، ترجمة/ سعيد البيشاوي، (عمان: دار الشروق، 1998م).

- John of Wurzburg, Description of the Holy Land A.D. 1160- 1170, trans. by C.W. Wilson, in *P. P. T. S.*, Vol. V, (London, 1890).

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: يوحنا فورزبورغ: *وصف الأراضي المقدسة في فلسطين*، ترجمة/ سعيد عبد الله البيشاوي(عمان: دار الشروق، 1997).

- Joinville, Histoire de Saint-Louis, Par M. Natalis de Wailly, 1868.

اعتمدت الباحث على الترجمة العربية: جوانفيل، *القديس لويس– حياته وحملاته على مصر والشام*، ترجمة/ حسن حبشي (القاهرة : دار المعارف، 1968).

- Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, trans. J. J. Gavigan, Philadelphia, 1948).
- Raymond d'Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, in *R.H.C.Hist. Occ.*, Tome III.

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: ريموناجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة/ حسين محمد عطية، (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، 1989).

- Walter the Chancellor Bella Antiochene, in *R.H.C. Hist.occ*, Tome V, (Paris, 1869).

  Walter the Chancellor's, The Antiochene Wars, A Translation and Commen tarns. by Thomas S. Asbridge and Susan B. Edgington, (Ashgate, 1999).

  وقد اعتمد الباحث على الترجمة الإنجليزية

- William of Tyre, A History of the Dees Done Beyond the Sea, trans. by E. A. Babcock, A. C. Kery, (New York, 1943–1947).

اعتمد الباحث على الترجمة العربية: وليم الصوري، الحروب الصليبية، تاريخ الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر، ترجمة/ حسن حبشي ،(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991–1995)، 4 أجزاء.

ثانيا: المصادر العربية:

- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، *المعجم الوسيط*، ج1، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة).

Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayyat, Hamid Abdel-Qader, & Muhammad Al-Najjar, *Al-Mu'jam al-Wasit*, Part 1, (Cairo: The Arabic Language Academy, Dar al-Da'wah).

- ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيباني الجزري والملقب بعز الدين ت 630هـ/ 1232م)، *الكامل في التاريخ*، ج 12 (بيروت: دار صادر، 1966).

Ibn al-Athir (Abu al-Hassan 'Alī ibn Abī al-Karam al-Shaybanī al-Jazarī, nicknamed 'Izz al-Dīn, d. 630 AH / 1232 CE), *Al-Kāmil fi Al-Tārīkh*, vol. 12 (Beirut: Dār Sādir, 1966)

- ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج 6، قدم له وعلق عليه/ محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب، 1992).

Ibn Taghrī Berdī (Yusuf bin Taghrī Berdī bin Abdullah al-Zahiri al Hanafi, Abu al-Mahasin, Jamal al-Din (d. 874 AH), *Al-Nujūm al-Zāhirah fī Mulūk Miṣr wa-l-Qāhirah,* Part 6, presented to him and commented on by Muhammad Hussein Shams al-Din (Beirut: Dār al-Kutub, 1992).

- ابن جبير الكناني (أبو الحسين محمد ت 615هـ/ 1218م)، *رحلة ابن جبير*، ضبطه وفهرسه/ محمد زينهم (لقاهرة: دار المعارف، 2002).

Ibn Jubair Al-Kinani (Abu Al-Hussein Muhammad d. 615 AH / 1218 AD), *Rihlat Ibn Jubayr*, indexed by Muhammad Zainhum(Cairo: Dār Al-Ma'ārif, 2002).

- ابن العبري (غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الطبيب الملطي)، *تاريخ مختصر الدول*، (لبنان: الرائد، ١٩٩٤).

Bar Hebraeus, (Gregorius Abi al-Faraj ibn Harun al-Tabib al-Malti), *Tārikh Mukhtasr Al-dewal*, (Lebanon: Al-Rā'ed, 1994).

- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي)، *لسان العرب*، (القاهرة: دار المعارف، د.ت.).

Ibn Manzoor (Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzoor al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Afriqi*), Lisān al-Arab*, (Cairo: Dar al-Ma'ārif, d.t.)

- ابن منقذ (ت 584هـ/ 1188م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامه بن مرشد، كتاب *الاعتبار*، (مصر: الثقافة الدينية، 2001).

Ibn Munqith (d. 584 AH / 1188 CE) Abu al-Muzaffar Osama bin Murshid, *Kitāb al-I'tibār* , (Egypt: Religious Culture, 2001)

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Andrew Jotischky," Gerard of Nazareth, John Bale and the Origins of the Carmelite Order", *Journal of Ecclesiastical Histor*y 46/2 (April 1995).
- Archer, Thomas Andrew, T*he crusades. The story of the Latine kingdom of Jerusalem*, (London, T. F. Unwin, [1919]), also by Charles Lethbridge Kingsford.
- Bagge,S., "Ideas and narrative in Otto of Freising′s Gesta Frederici" in *Journal of Medieval History* 22/4 (1996), pp. 345- 377
- Benvenisti, M., *The Crusaders in the Holy Land. Jerusalem*, (Israel Universities Press, 1970).
- Boas, A. J., *Jerusalem in the Time of The Crusaders*, (NewYork, 2001).
- Brundage, J. A, "Latin Jurists in the Levant; the Legal Elite of the Crusader States" in *the Crusaders and Muslims Medival Mediterranean in Twelfth Century Syria* (E.j. Brill, New York, 1993).

- E. Rey, *Colonies franques de Syrie aux XIIe et XIIIe siècles*, (Paris: 1883).
- Edoardo d'Angelo, *People, Texts and Artefacts: Cultural Transmission in the Medieval Norman Worlds*, ed. David Bates, Edoardo d'Angelo and Elisabeth van Houts (London: Institute of Historical Research, 2018).
- Hamilton, B., "Knowing the Enemy: Western Understanding of Islam at the Time of the Crusades," *Journal of the Royal Asiatic Society* 7/ 3 (Nov. 1997), pp. 373-387.
- Hitti, Ph., "The Impact of the Crusader on Moslem Lands", in Setton: *A History of Crusades*, Vol. V, New York, 1983.
- Smith, J. R., *The Feudal Nobility and the kingdom of Jerusalem 1174 – 1277*, (Great Britain, 1973).

رابعا: المراجع العربية:

- أحمد عبدالله أحمد، *الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي بلاد الشام في القرن 6-7 هـ/12-13هـ*، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 2016).

Ahmad Abdallah Ahmad, *Aljarā'im wa-l-'qūbāt fi al-mujtama' al-ṣalībī fī bilād al-Shām fi al-Qarn 6-7 AH./12*-13AD., (Cairo: Dār al-Afāq al-'Arabīyyah, 2016).

- إمام الشافعي محمد حمودي، "الرؤى والاحلام المقدسة عصر الحروب الصليبية"، *مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط*، العدد30، ج1، 2011.

Imam al-Shaf'ī Muhammad Hamudī, "Al-Ru'a wa-l-Aḥlām al-Muqaddsah 'Aṣr al-ḥurūb al-ṣalībīyyah", *Journal of the Faculty of Arabic Language in Assiut* 30, part I, (2011).

- أميرة محمد شحاتة، *من تاريخ الحركة الصليبية: دور الفرسان في مملكة بيت المقدس 492-690هـ/ 1099-1291م*، (القاهرة: دار عين، 2017م).

Amira Muhammad Shehata, *Men Tārīkh al-ḥarakah al-ṣalībīyyah: Dūr al-fursān fī mamlaket Baīt al-Maqdis 492-690 AH/1099-1291 AD*, (Cairo: dār 'Aīn, 2017 AD).

- بورورو مباركة، *تأثير الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا خلال القرون الوسطى*، رسالة ماجستير،(الجزائر: جامعة تلمسان، 2012).

Pororo Mubarak, *Ta'thīr al-ḥaḍārah al-'Arabīyyah al-Islāmīyyah 'la Europa khilāl al-Qrūn al-Wusṭa*, MA thesis (Algeria: Tlemcen University, 2012).

- جمعة الجندي، *الاستيطان الصليبي في فلسطين 492-690 هـ/ 1099 - 1291 م* (القاهرة: الأنجلو المصرية، 2006).

Juma al-Jundi, *Al-Istīṭān al-ṣalībī fī Falasṭīn 492-690 A.H./ 1099-1291 A.D.* (Cairo: Al-Anjlū al-Mṣrīyyah, 2006).

- حاتم عبد الرحمن الطحاوي، "القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية: قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس"، *مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة*، مجلد (58) عدد (4) 1998، ص 477-529.

Hatem Abd al-Rahman al-Tahawy, "Al-Qānūn al-Baḥrī li-Mamlaket Baīt al-Maqdis al-ṣalībīyyah: Qrā'ah fī Majmū'it Qwānīn Baīt al-Maqdis ", *Journal of the Faculty of Arts, Cairo University* 58/4 (1998), pp. 477-529.

- حسن أحمد عبد الجليل البطاوي، *المجتمع الصليبي في بلاد الشام 1097-1187م (التباين الاجتماعي والخلافات المذهبية)*، (دمشق: نور حوران، 2019م).

Hassan Ahmad Abd al-Jalil al-Batawi, *Al-Mujtama' al-ṣalībī fī Bilād al-Shām 1097-1187 A.D (al-tabāun al-ijtmā'ī wa-l-khilāfāt al-madhhabīyyah)*, (Damascus: Nūr Hawrān, 2019).

- حسن أحمد عبد الجليل البطاوي،"العلاقة بين الصليبيين في الشرق والوافدين الجدد من الغرب الأوروبي 492- 583هـ/ 1099- 1187م"، *حوليات آداب عين شمس*، مج3 ، ديسمبر، 2005، ص 195-219.

Hassan Ahmad Abd al-Jalil al-Batawi," Al-'ilāqah bayna al-Salībyīn fī al-Aharq wā-l-wāfidīn al-judud men al-Gharb al-Europī 492-583 AH / 1099-1187 AD," *Annals of Ain Shams Literature* 3 (December, 2005), pp. 195-219.

- حسين محمد عطية، *تشريعات الصليبيين: دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية*، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2012).

Hussein Muhammad Attia, *Tshrī'āt al-ṣalībyin: Dirāsāt fī Qwānīn Anṭākīyah wa-Mamlaket Baīt al-Maqdis al-ṣalībīyyah*, (Alexandria: Dār al-m'rifah al-jāmi'iyyah, 2012).

- خالد سليمان الشريدة، المناصفات في بلاد الشام : مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج والمسلمين، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، عدد 26، 2012.

Khaled Suleiman al-Sharida, Al-Mnāṣfāt fī bilād al-Shām: mithāl men al-ʻilāqāt al-slimīyyah bayna al-Frinj wa-l-Muslimīn, *Journal of Humanities and Social Sciences* 26 (2012).

- دي كان، رادولف، ومحمد مؤنس عوض، " أعمال تانكرد ملك صقلية في الحملة على بيت المقدس"، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت* – مجلس النشر العلمي، مجلد 38، العدد 151، (2020) ص 283–292.

De Kahn, Rudolf, and Muhammad Mu'nis Awad, "Aʻmāl Tānkrid malik ṣiqilīyyah fi al-ḥamlah ʻla baīt al-Maqdis", *Arab Journal of Human Sciences, Kuwait University - Academic Publishing Council*, 38/151 (2020), pp. 283-292.

- رائد مصطفى عبد الرحيم، "وسائل الدعاية الصليبية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى نموذجا)"، *مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، غزة*، 2011، المجلد 13، العدد (1) A.

Raed Mustafa Abdel Rahim, "Wasā'il d-dāīt l-ṣlībīt (ṣūrt al-Muslimīn fī adab al-Raḥalāt al-Europiyyah wā-l-Rūsīyyah ela al-Amākin al-Muqaddasah fī al-ʻṣūr al-Wūsṭa Nmūdhajan)", *Al-Azhar University Journal*, Human Sciences Series, Gaza, 13/1 (2011).

- زكي النقاش، *العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية*، (لبنان: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، , 1957).

Zaki al-Naqqash, A*l-ʻilāqāt al-ijtmāʻiyyah wa-l-Thqāfīyyah wa-l-Iqtṣādīyyah bayna al-ʻArab wa-l-Ifrinj khilāl al-ḥurūb al-ṣalībīyyah*, (Lebanon: Dār al-kitāb al-libnāni, 1957).

- سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زعلول عبد الحميد، أحمد مختار العبادي، *المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية*، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1963).

Said Abdel-Fattah Ashour, Saad Zaaloul Abdel-Hamid, Ahmed Mukhtar Al-Abbadi, *Al-mdīnt al-islāmīyyah wa-Atharuha fī al-ḥaḍārah al-Europiyyah*, (Cairo: Dār al-Nahḍah al-ʻArbīyyah, 1963).

- سعيد عبد الفتاح عاشور، *الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى*، ج1، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط 4، 1986).

Said Abdel-Fattah Ashour, *Al-ḥarakah al-ṣalībīyyah ṣafḥah mushriqah fī Tārīkh al-jihād al-islāmī fi al-ʻṣūr al-Wusṭa*, Part 1, (Cairo: al-Anjlū al-Maṣrīyyah, 4th edition, 1986).

- سعيد عبد الفتاح عاشور، *أوروبا العصور الوسطي النهضات والحضارة والنظم، ج 2*، (القاهرة: الأنجلو المصرية، 1986).

Said Abdel-Fattah Ashour, *Europa al-ʻṣūr al-Wūṭā al-Nahḍāt wā-l-ḥaḍārh wa-l-nẓum*, part 2, (Cairo: Al-Anjlū al-Maṣrīyyah, 1986).

- سعيد عبدالفتاح عاشور،"ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام"، *مركز دراسات الوحدة العربية المستقبل العربى*، مج10، ع102، 1987.

Said Abdel-Fattah Ashour, "Mlāmḥ al-mjtmaʻ al-ṣalībī fī Bilād al-Shām", *Center for Arab Unity Studies, The Arab Future* 10/102 (1987).

- سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (492-690هـ/ 1099-1291م)، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ،1990).

Saeed Abdullah al-Bishawi, *Al-Mumtlakāt al-Kanasīyyah fī mamlakit Baīt al-Maqdis al-ṣalībīyyah* (492-690 AH / 1099-1291 AD), (Alexandria: dār al-Mʻrfah al-Jāmʻiyyaht, 1990).

- عبد العزيز بن راشد بن عبد العزيز العبيدي، "التأثيرات الحضارية الإسلامية على الغرب الأوربي خلال الحروب الصليبية"، *دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس – كلية التربية – مركز تطوير التعليم الجامعي، ع 23، 2012، 286-318.*

Abdulaziz bin Rashid bin Abdulaziz al-Obaidi,*"Al-T'athīrāt al-ḥḍārīyyah al-islāmīyyah ʻala al-Gharb al-Euorpī khilāl al-ḥrūb al-ṣlībīt"*, *Studies in University Education, Ain Shams University - College of Education-University Education Development Center*, 23 (2012), pp. 286-318.

- عمر عبد السلام تدمري، *الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى.. من الفتح العربي حتى سقوط الامارة الصليبية (25- 688هـ/ 646م- 1289هـ)*، (بيروت: دار فلسطين، 1972).

Omar Abd al-Salam Tadmuri, *Al-ḥayāh al-thqāfīyyah fī Tarāblus al-Shām khilāl al-ʻUṣūr al-Wūsṭa. men al-fatḥ al-ʻArabī ḥtta suqūṭ al-Imārah al-ṣalībīyyah* (25-688 AH / 646 AD-1289 AH), (Beirut: dār falasṭīn,1972).

- عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليم الصوري" *مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية* العدد 21 (1968).

Omar Kamal Tawfiq, "Al-Mu'rrikh William of Tyre", *Journal of the Faculty of Arts, Alexandria University* 21 (1968).

- فتحي عبد العزيز محمد، وأشرف صالح محمد سيد. "الكنيسة في مملكة بيت المقدس عصر الحروب الصليبية الدور والواجبات (1099 – 1187"، *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة*، العدد 9، 2014، ص15_47.

Fathi Abdulaziz Muhammad, and Ashraf Saleh Muhammad Sayed. "Al-Kanīsah fī Mamlaket Baīt al-Maqdis ʻAṣr al-ḥurūb al-ṣalībīyyah, al-Dawr wa-l-Wājibāt (1099 - 1187)", *Journal of Human and Social Sciences, Mohamed Khaydir University of Biskra* 9 (2014), pp. 15-47.

- قاسم عبده قاسم، " بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية"، *عالم الفكر*، مج22، ع2، 1993، ص 360–402.

Qasim Abdo Qasim, " Baʻḍ Maẓāhiar l-ḥayāh al-Ijtimāʻīyyah fī Bilād al-Shām ʻAṣr al-ḥurūb al-ṣalībīyyah", ʻ*Aālam al-fikr* 22, pt. 2 (1993 pp.), 360-402.

- قاسم عبده قاسم، *الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق*، (القاهرة: دار عين، 2001).

Qasim Abdo Qasim, al-ḥammlah al-ṣilībīyyah al-uwla Nṣūṣ wa-wthā'iq, (Cairo: Dār ʻAīn, 2001)

- قاسم عبده قاسم، *المسلمون وأوروبا: التطور التاريخي لصورة الآخر*، (القاهرة: دارعين، 2008).

Qasim Abdo Qasim, Al-Muslimūn wa-Euruba: al-Taṭwur al-Tārīkhī le-ṣūrat al-ākhar, (Cairo: Dār ʻAīn, 2008).

- لؤي إبراهيم بواعنة: "رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى490–521هـ/1096–1127م" *المجلة الأردنية للتاريخ والآثار*، المجلد5، العدد2011م، ص 56–89.

Louay Ibrahim Bawaneh": "Ru'yat al-Mu'rrikhīn al-Frinj le-Wāqiʻ al-Muslimīn ibān al-ḥammlah al-ṣilībīyyah al-'Ula 490-521 AH / 1096-1127 AD" *The Jordanian Journal of History and Antiquities* 5 (2011), pp. 56-89.

- محمد إبراهيم محمد خلف، "دور التراجمة اللاتين في حصار أنطاكية490-491هـ/ 1097-1098م" *مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم*، مجلد 13، العدد 2، 2021، 1564-1610.

Muhammad Ibrahim Muhammad Khalaf, "Dawr al-Tarājimah al-lātīn fī ḥiṣār Anṭākyah 490-491 AH/1097-1098 AD," *Journal of the Faculty of Arts*, Fayoum University, 13/2 (2021), pp. 1564-1610.

- محمد فوزي رحيل، *"قانون التأمين على خيل الحرب في مملكة بيت المقدس الصليبية قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس "*، حولية *سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط – مصر*، العدد 1، 2011.

Muhammad Fawzi Rahil, "Qānūn al-T'amīn ʻala Khayl al-ḥarb fī Mamlakat bīt al-Maqddes al-ṣalībiyyah: qirāʾah fī Majmūʻat qawānīn Baīt al-Maqdes," *Annual Seminar of Islamic History and the Mediator – Egypt* 1 (2011).

- محمود سعيد عمران: "الفكرة الصليبية" آلام وآمال: وليم آدام واستعادة الأراضي المقدسة"، ضمن كتاب *الإطار التاريخي للحركة الصليبية حصاد (3)، ندوة اتحاد المؤرخين العرب* (القاهرة: منشورات اتحاد المؤرخين العرب، 1996).

Mahmoud Said Omran: "Al-Fikrah al-ṣalībīyyah" alām wa-āmāl: William Adam wa-Stiʻādat al-Arāḍi al-Muqaddasah", in *The book The Historical Framework of the Crusader Movement Harv*est (3), Symposium of the Union of Arab Historians (Cairo: Publications of the Union of Arab Historians, 1996).

- محمود محمد الحويري، *الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد.... عصر الحروب الصليبية*، (القاهرة: دار المعارف، 1979).

Mahmoud Muhammad Al-Huwairi, *Al-awḍāʻ al-ḥaḍārīyyah fī Bilād al-Shām fi al-Qarnīn al-Thānī ʻAshr wa-l-Thālith ʻAshar men al-Milād. ʻAṣr al-ḥurūb al-ṣalībīyyah*, (Cairo: Dār al-Mārif, 1979).

- مصعب حمادي نجم الزيدي، "اضواء على حياة الصليبيين في بلاد الشام"، *مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل*، ج 1، ع 2، 2008، ص 90-115.

Musab Hammadi Najm al-Zaidi, "Aḍwā' ʻAla ḥayāt al-ṣalībyin fī Bilād al-Shām," *Journal of the College of Islamic Sciences, University of Mosul* 1/ 2 (2008), pp. 90-115

- نظير حسان سعداوي، *الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي* (القاهرة: النهضة المصرية، 1961).

Nazir Hassan Saadawi, *Al-ḥarb wa-l-slām zaman al-ʻidwān al-ṣalībī* (Cairo: al-Nhḍt al-Maṣrīyyah, 1961).

- ياسر كامل محمود أحمد، "الصليبيون وإتلاف الكتب وتدمير المكتبات في بلاد الشام: عصر الحروب الصليبية 1098–1191م 491–588هـ"، مجلة *الدراسات التاريخية و الحضارية المصرية جامعة بني سويف*، مج4 2018، ص 134–176.

Yasser Kamel Mahmoud Ahmed, "Al-ṣalībīūn wa-Itlāf al-Kutub wa-Tadmīr al-Maktbāt fī Bilād al-Shām: ʻAṣr al-ḥurūb al-ṣailībīyyah 1098-1191 AD 491-588 AH," *Journal of Egyptian Historical and Civilizational Studies, Beni Suef University* 4 (2018), pp. 134-176.

خامساً: المراجع المترجمة

- بيريل سمالى، *المؤرخون في العصور الوسطى*، ترجمة/ قاسم عبده قاسم (القاهرة: دار المعارف، 1981، ط2).

Beryl Smalley, *Historians in the Middle Ages*, translated by Qasim Abdo Qasim (Cairo: dār l-m□ārf, 1981, 2nd edition).

- دنيس كوش، *مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية*، ترجمة/ منير السعيداني، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007).

Dennis Kush, *The Concept of Culture in the Social Sciences*, translated by Mounir Al-Saeedani (Beirut: The Arab Organization for Translation, 2007).

- ر.س.سميل، *فن الحرب عند الصليبيين*، ترجمة/ محمد وليد الجلاد، (دمشق : الدراسات العسكرية، 1985).

R. S. Samil, *The Art of War among the Crusaders*, translated by Muhammad Walid Al-Jallad, (Damascus: Military Studies, 1985)

- رنية غروسية، موجز *تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط*، ترجمة/ أحمد أيبش، (أبو ظبي: 2014).

René Grousset, *Bref historique des croisades dans l'Orient islamique et le bassin méditerranéen oriental*, Traduit par Ahmed Ibish (Abu Dhabi, 2014).

- ستيفن رنسيمان، *تاريخ الحروب الصليبية– الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس*، ترجمة/ السيد الباز العرينى، ج 2، ط 3، 1993.

Stephen Renciman, *The History of the Crusades* - The First War and the Establishment of the Kingdom of Jerusalem, translated by Al-Sayyid Al-Baz Al-Arini, vol. 2, 3rd edition, 1993.

- فولدا، *""الفن في الشرق اللاتيني": كتاب تاريخ اكسفورد*، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، ج1 (القاهرة: دارعين،2007).

Fulda, "Art in the Latin East": *Oxford History Book*, translated by Qasim Abdo Qasim, Part 1 (Cairo: Dareen, 2007).

- كلود كاهن، *الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية*، ترجمة/ أحمد الشيخ (القاهرة: دار سينا للنشر، 1995).

Cahen, C., *Orient et Occident au Temps des Croisades*, Amman: Dār alShourūk, Arabic trans. A. Al-Shaikh, Cairo: Sinā le-l-Nashr 1995.

- ماير (هانس ابرهارد)، *تاريخ الحروب الصليبية*، ترجمة / عماد الدين غانم، تقديم / نجاح صلاح الدين القابس (طرابلس، ليبيا :مجمع الفاتح للجامعات، 1990).

Mayer (Hans Eberhard*), History of the Crusades*, translated by Imad Al-Din Ghanem, presented by Najah Salah Al-Din Al-Qabes (Tripoli, Libya: Al-Fateh University Complex, 1990).

- يوشع براور، *عالم الصليبيين*، ترجمة/ قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1988).

Joshua Brower*, The World of the Crusaders*, translated by Qasim Abdo Qasim and Muhammad Khalifa Hassan, (Cairo: dār l-m□rft l-jām□īt, 1988).